روايات عبير الجديدة

فيوليت وينسبر

النسر

www.rewity.com/vb

غيمة بيضاء

النسر

كان أول عمل كبير قامت به في حياتها هو هذه الرحلة الرائعة الى المكسيك. فبالإضافة الى متعة السفر هناك الرمز العميق، رمز الانفتاح على العالم بمفاجآته التي لا تحصى. وعندما وقع لها حادث مؤسف جمعها بالحاكم ديلكادو، تذكرت رومي آلن الرجل الذي التقت به صدفة، وجعلها تشعر في كل لحظة، بأنها غير ناضجة او حتى راشدة. وبغطرسة لا تطاق. وها هي معه في موقف محرج ومثير للشبهات وهو يصر على انقاذ سمعتها او بالاحرى سمعته ومركزه هو.

وافقت رغماً عنها على التظاهر بأنها خطيبته، فأخذها إلى مزرعته في وادي الشمس شبه خطيفة، واعلن امام اهله واصدقائه انه سيتزوجها، نسر اسباني وجد حمامته الوديعة. وبراري المكسيك تتكفل بسد طرق الهرب وتكملة الباقي. ولكن مع مرور الايام، هل ظلت حقاً مصممة على الهرب.

www.rewity.com/vb

الفصل الأول

اهتز القطار وهو يعبر السكة الحديدية ومن بعيد بدا الغروب بألوانه الرائعة الأحمر، البرتقالي، البنفسجي، والأصفر حيث الشمس تبسط نورها الذهبي على الجبال المكسيكية. وفي ذلك القطار جلست رومي آلن في مقصورتها الخاصة بجانب النافذة وهي تراقب طيران طائر كبير يعبر السماء الصافية، نسر يفرد جناحيه الكبيرين، قوي كفاية لالتقاط حيوان صغير من حقول الساباتا.

كل شيء كان مثيراً جداً ومختلفاً عن نوثنانت باي، حيث قضت رومي طفولتها ونمت وعاشت، كانت أجنحة النسر الرماديتين بلون نورس البحر التي تجتاح السماء، وفرس البحر التي تتراخى على الصخور على مسافة قريبة من الشاطىء.

أن تتذكر الشاطىء يعني أن تفكر بلانس والساعات الجميلة التي قضتها معه على البحر وبين الأمواج. الآن لا يعني لها شيئاً، لقد تزوج ابنة عمها ايريس. التي جمع والدها ثروة لا بأس بها من صيد الأسماك، وتذكرت كيف تعمدت ايريس أن تريها خاتم زواجها الرائع وكيف وافقت أن تكون اشبينة العروس، ولكن بعد

اسبوع من الزواج حزمت حقائبها وذهبت بعيداً الى بريستول لتبحث عن عمل في متحف الطفولة.

وبعد ذلك تلقت ضربة ثانية عندما ماتت جدتها فجأة، وأصبحت مطروحة تحت رحمة أقربائها وهي ما زالت صغيرة السن، وتركت لها جدتها ميراث وأيضاً رسالة مختومة بالشمع الأحمر بطريقة قديمة الطراز.

عندما وصلت الرسالة الى رومي، رأت في عيني زوجة عمها وابنة عمها نظرة فضول وحب استطلاع.

ـ حسناً افتحيها. قالت ايريس الشقراء الجميلة ببدلتها الداكنة مع ياقة من الفرو وأضافت.

ـ لقد كنت وجدتي متقاربتين وشاركتم بعضكم الأسرار، وربما تذكرت لك نصيحة تنصحك فيها بكيفية التقاط الرجال.

اضطربت رومي كثيراً لفقدان جدتها وبحرص شديد فتحت الرسالة وقرأتها في صمت.

ـ كل واحد منا... كتبت الجدة.

منذ مدة كنت تحلمين بأن تزوري مكان بعيد، اذهبي وابتعدي لفترة. رومي لا تنظري خلفك، أو تعتقدي بأن الميراث الذي تركته لك سوف يحميك من الأيام، اذهبي ولاحقي قوس قزح ايتها الفتاة، اذهبي ولتكن الرغبة والشجاعة رفيقاك وحبي أيضاً.

ـ حسناً ماذا كتبت المرأة العجوز في رسالتها، قالت ايريس.

ـ تقول لي بأن أذهب بعيداً في رحلة خارج الحدود.

ـ وهل ستفعلين؟

ابتسمت ايريس لزوجها لانس وكانت في الحقيقة تتمنى أن تبعد لانس عن رومي.

ـ باريس رائعة في الربيع، وأيضاً البندقية، من ناحيتي أنا ولانس فاننا نفضل البندقية وكل تلك الأماكن الرائعة، وربما ستجدين صديقة لك لتذهب معك.

ـ اعتقد بأنني سأذهب وحدي.

حدقت رومي في الرسالة ولم تشعر أبداً بتأكدها من الذي تريده وأضافت.

ـ سأذهب إلى حيث ارغب الذهاب، وسأنفق كل فلس تركته لي جدتي سأشتري بعض الملابس الجميلة ومع الراحة سأجد المرح.

ـ كل هذا لوحدك.

ـ نعم كل ذلك لوحدي.

مكسيكو سيتي كانت دائماً رائعة فوق أي انتقاد. لقد زارت عدة متاحف ولاعبت الأطفال المكسيكيين ذو البشرة الذهبية. والآن ها هي ذاهبة بالقطار الى اكزريكا حيث ستبقى اسبوعاً، وبعدها رحلة الى فيرا كروز لتأخذ السفينة الى انكلترا.

وفي هذا الغروب بدت الشمس ككرة من ذهب وهي تغطس في البحر حتى تختفي كلياً.

قرعت أجراس القطار تعلن للمسافرين بأن الوجبة ستكون حاضرة بعد دقائق، ستكون هناك مصاريف ايضافية اذا اخذت وجبات غالية الثمن، ولكن رومي كانت حريصة في مصاريفها، نساء قلائل يبدو انهم يسافرون وحدهم والرجال يأخذون نظرة مظلمة وخطرة عنهم نهضت رومي من مقعدها ومشطت شعرها الأشقر الذي يبدو منسدلاً على كتفيها، ثم عقدته في ربطة وحلت الى أسفل رقبتها، لم تكن رومي فتاة خارقة الجمال.

كانت فتاة تملك الجرأة، الرقة والعذوبة ولكنها تأذت قليلاً، عندما عرفت بأن لانس كان يتلاعب بعواطفها، لم تستطع رومي أن تتمتع بالمناخ في المكسيك وتعرف تاريخ شعبها ذو اللون الأسمر الساحر والقرى الجميلة المحاطة بالكنائس الذهبية المبنية على أيدي الفاتحين الأسبان.

كانت رومي سعيدة بأنها انفقت ميراث جدتها بهذه الطريقة، كانت عطلة لا تنتس ابداً. أشياء عدة ستضيء الأمسيات الوحيدة عندما ترجع الى حياتها.

يسافر القطار الآن في قلب المدينة، شعرت رومي بالجوع ثم اخذت طريقها الى ممر القطار ومنه الى غرفة الطعام. كان هناك رجل يسير أمامها. وكان هناك شيء في طريقة لباسه، الطريقة التي نقل بها رأسه وأكتافه... الصلبة، هيئته المتكبرة... التي جعلت رومي تتمسك بأحد الأبواب وحبست أنفاسها وجعلت خطاها بطيئة، أملت أن يدخل الى غرفة الطعام بدون ان يلقي نظرة وراءه. ولكن عندما وصل الى الباب وتوقف ليحدق من احدى النوافذ الى منظر الناس خارج القطار اللذين كانوا يسيرون تحت الشمس الغاربة، ناضلت رومي لترجع الى مقصورتها بسرعة وفكرت انها اذا اسرعت سوف ينتبه الى فستانها الأخضر وشعرها الأشقر.

وبعد لحظات ادار نفسه الى اليمين ليواجهها. ولم يعد هناك مكان للهرب منه، منحها انحناءة مجاملة وقال:

ـ مساء الخير سنيوريتا.

هو يتذكرها مثلما تتذكره، وشعرت ثانية بنفس الشعور الذي اجتاحها عندما التقته للمرة الأولى وارتعشت عندما التقت عيناه السوداوين تحت حاجبيه كثيفين بلون شعره الحالك السواد. رأت ثانية تقاطيع وجهه المنحوتة بقوة وجلده الأسمر الذهبي، كان وجهه صلباً آمراً.

كل هذه الصفات كانت تعود للدون ديلكادو دي اڤرادو بي فالكازار سيد هذه المدينة، رجل صاحب قوة وصحة كبيرتين والتي اخبرتاها بأن يجب أن تذهب مئات الهكتارات بعيداً عنهما.

ـ ها نحن نلتقي ثانية بطريقة غير متوقعة.

تكلم بانكليزية صحيحة مع لهجة مكسيكية وأضاف.

ـ هل تتمتعين ببقية اقامتك في مكسيكو سيتي.

ـ كثيراً سنيور.

ابتسمت بتهذيب واملت أن لا يلاحظ نبرة العصبية في صوتها بسبب كيفية حدوث لقائهما الأول وبسبب الاختفاء الاستبدادي

للرجل. شعرت بالاحراج وتمنت أن يذهب الى طاولته، انها لم تراه في وقت الغداء وافترضت بأنه لا بد صعد بعد موعد الغداء من احدى المحطات التي مروا بها.

ـ يجب أن ادعوك الى طاولتك.

وتقدم ليفعل ذلك، اشار غريزياً الى طاولة في زاوية من القطار.

ـ أنا أود ان ادعوك الى طاولتي ولكن صديقاً لي سينضم الي لتباحث بالأعمال. ربما بعد ذلك قد تودين اخذ القهوة معنا في النادي الصغير.

كان كلامه طلباً وفي نفس الوقت امراً فقالت رومي.

ـ انوي ان اقضي ليلة قصيرة وأنام باكراً. وعلى كل حال شكراً على الدعوة.

نظر اليها بعينيه الداكنتين ثم أمال رأسه وعبر الممشى الى طاولته مشى على أرض القطار المترنح بسهولة وثقة بالنفس.

جلست رومي وحولت نظرها الى النافذة وعندما أسدل الليل ستاره شعرت بخفقات قلبها السريعة، لم تحلم ثانية بأنها ممكن ان ترى الرجل ثانية... هل مرَّ زمن، لقد افترقت عنه في مكسيكو سيتي.

وتذكرت يوم التقت به أول مرة، يومها قضت رومي نصف النهار في قاعة باردة في متحف ازتك للفن وبعد جولة قصيرة اخذت طريقها الى الخارج. وفجأة بدأت الأرض تهتز تحت أقدامها وشعرت بأنها طارت في الهواء. وستقع أرضاً على درجات المتحف واذ بأيدي قوية واكيدة تنقذها من السقوط، لقد كانت هزة ارضية. بسرعة وبعيداً عن ذلك المبنى وكل ذلك الزجاج اضطربت، خافت ووجدت نفسها تلجأ مع الرجل الغريب تحت قنطرة من الحجارة والأبواب. لعدة ثواني ظلت الأرض تهتز، وأمواج الناس تتحرك في كل الاتجاهات، تبحث عن مأوى، تدريجياً كل شيء عاد الى سكونه ثانية. حتى استعادت المدينة

www.rewity.com

هدوءها.

ومع لهثة الراحة شكرت رومي منقذها الذي كان يرتدي بذلة من الجوخ الأبيض وقميص مخطط بخطوط بدت أركن من صبغة وجهه. سألها عن اسمها واسم الفندق وأمسك يدها وجرها الى إحدى العربات ودفعها اليها ثم تبعها وخلال الرحلة في الشوارع تكلم معها عن فنون الأزتيك وبين الحين والآخر كانت تنظر اليه وإلى عينيه اللتين اخبرتاها بأنها غير مرغوبة في تجوالها وحدها بمدينة غريبة وبعيدة عن وطنها.

كان موظف الاستقبال في الفندق الذي اخبرها بأهمية الرجل ومركزه وانه ارتقى الى اعلى المراكز الدبلوماسية، وأخبرها بأنه أصبح شهيراً وهو ما زال شاباً.

والآن أصبح في منتصف الثلاثينات ولا شيء استطاع ان ينال منه نظراً لقدرته على ضبط قواه وحدسه الغريب.

قطع قدوم الخادم عليها حبل ذكرياتها فابتسمت رومي له ابتسامة ساحرة وطلبت وجبتها دجاج مشوي، بطاطا بيريه وفاصوليا طويلة، كان الخادم يتكلم القليل من الانكليزية ولم يكن صعباً عليها أن تحادثه.

ـ هل تحب السينوريتا الزهور؟

ـ نعم أحبها.

كانت متيقظة وهي تتكلم بأن الدون ديلكادو يرمقها عبر الممشى، وأحست ثانية بشعور طفيف من العداء ورفضت ان ترد له نظرته بالمثل.

ـ هل السنيوريتا تريد كأس من العصير بعد الوجبة؟

ـ نعم سيكون نافعاً جداً.

ـ السنيوريتا تحتفل؟

لاحظ الخادم اتجاه نظراتها عندما طلبت العصير، وحدق بصورة الدون ديلكادو الرائعة حيث انضم اليه رجل في زي الشرطي.

ـ ربما احتفل.

قالتها رومي وتذكرت انها في عطلة وفي العطلة يجب أن يكون هناك شيء للاحتفال به. تمتعت رومي بعشائها وخاصة بالدراق مع الكريما وفي نهاية العشاء سحبت سيجارة واشعلتها وتوقفت قرب النافذة.

ـ مساء الخير سنيوريتا.

هكذا قال الصوت وفي نفس الوقت شعرت بلسعة عينان سوداوان وراء وجهها.

ـ تصبح على خير سنيور.

اسرعت في طريقها وسمعت تمتمة الرجل الذي كان يرافق الدون ديلكادو وافترضت انها أعجبت بزيه، وكان زيه رومنطيقي.

وعندما دخلت مقصورتها اغلقت الباب ورائها وبدأت تحضر نفسها للنوم، ارتدت قميص النوم مع الروب ووقفت بمواجهة المرآة لتسرح شعرها الطويل. كانت جدتها توصيها مراراً بعدم قصه ابتسمت رومي وتذكرت جدتها وهي شابة في مدينة فيكراج. أخبرتها مدة عن الرجال الشياطين وأوصتها بالابتعاد عنهم، تذكرت رومي الرجل بينما كانت تغمض عينيها ثم فتحتهما عندما تذكرت نفسها مع لانس وكيف اعتقدت انه يحبها ولم تتصور انها ستتأذى منه هو بالذات.

وتذكرت كلمة لجدتها.

ـ انت تحتاجين للحظ اذا ما التقيت بأحد أولئك الرجال الشياطين.

تحولت رومي عن المرآة وسحبت الستارة التي كانت تغطي النافذة فوق السرير. وما رأته من النافذة جعلها تمسك انفاسها بسرعة سيل من المطر حجب الشمس الغاربة، وعجلات القطار غمرته بجلبة واضحة. كانت رومي تسمع الريح وهي تصفر وتضرب بالقطار خلال الليل الحالك السواد.

ارتجفت قليلاً وبسرعة اغلقت الستارة، واقسمت لنفسها بأنها

www.e-vity.com/vb

لن تنظر الى القمر ثانية. فتحت احدى المجلات ولكن لم يكن هناك أي يسير على الموضة مما رأته، فقط حاجبان داكنان ظلا يلازمانها.

سمعت في الممشى ثرثرة الناس وهي في طريقها الى غرفها. فوق نوافذ القطار سمعت ومضة العاصفة الرعدية التي لا تنتهي. بدت وكأنها تريد أن تزيد من عصبية رومي ومرة جديدة شعرت بتلك الرجفة الطفيفة من الانذار بالخطر.

كانت المكسيك بالطبع ارض متوحشة، وشعبها بدا في امزجة متشابهة بوجوههم المحترقة من حرارة الشمس. زادت سرعة القطار وحاولت رومي أن تتجاهل صورة الدون، سوف تأخذ فطورها في مقصورتها عند الصباح وتتجنب رؤيته لبقية أيام الرحلة.

تثاءبت قليلاً وطوت المجلة ثم نظرت الى ساعتها وخلعت روب النوم، ثم تمنت لنفسها احلاماً سعيدة. وهي تنزع ملاءة السرير. وتذكرت انه عليها أن تقفل الباب. وبما انها كانت مقصورة للنوم فلم يكن لها غير باب واحد. مشت دون أن ترتدي حذاء النوم ووصلت الى الباب لتقفله وعندما حاولت ان تدير المفتاح سمعت دقة فجائية فوق الباب الخشبي.

كادت رومي أن تقفل الباب عندما فتح بخشونة. وارتدّت الفتاة الى الوراء وقالت.

ـ ماذا تفعل؟

خرجت الكلمات من شفتيها بخوف وأضافت.

ـ كيف تتجرأ أن تدخل الى هنا.

كان هناك شخص واحد فقط على القطار فقط شخص واحد جعلها تشعر بأنها غير واثقة وبأنها طفلة صغيرة.

ـ اخرج من هنا حالا!

وأحست بالرجل يتقدم منها وكأنه ينوي على شيء، لماذا يريدها، هل لأنها تسافر وحدها، غضب مكتوم اصابها من رأسها

حتى أخمص قديمها. لم يقل كلمة لمدة وجيزة من الوقت ولم تستطع أن تقرأ تعابير وجهه.

وقف هناك وشعاع لماع يضرب على شعره الأسود، ثم حدق داخل مقصورتها ولم تستطع أن تسمع غير تنفسه المنتظم.

شعرت الفتاة بدقات قلبها وقالت.

ـ ماذا تريد سنيور؟

ـ من النظرة التي في عينيك سنيوريتا، أرى بأنك قررت ما أنا قررته وبما انك فتاة متحررة تسافرين وحدك، فأنا اعتقد بأنه يجب عليك أن تجدي بعض السلوى. . . في هذه المدينة الفتيات الذين يسافرون وحدهم يعني بأنهم يريدون من الرجال أن يهتموا بهم.

ـ في بلدي النساء لهن الحرية في الذهاب الى أي مكان يحلو لهم، ولا داعي لان يتعقدوا بأن الرجال يتعقبونهم.

ـ ربما كذلك، لأن الرجال في بلدك يلعبون الكريكت في القرى بدلاً من تعلم فن المطاردة.

ترافصت اضواء جهنمية في عينيه ثم تابع.

ـ اللاتيني يتعلم وهو طفل بأنه ذات يوم سيصبح سيد المضاربات وسوف يكون رجل حقيقي.

ـ أنا أكيدة دون ديلكادو بأن استغلال النساء لا يعجبك، حسناً أنا احدى النساء التي لا تحتاج الى اهتمامك. لذا ارجو منك أن تترك مقصورتي قبل أن أطلب الخادم، أنا أكيدة بأن شعورك اللاتيني عن الشرف يشمئز من الفضيحة.

ـ أنا مذهول.

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتيه وأضاف.

ـ أنت تدهشيني سنيوريتا؟ تسافرين وحدك بوقاحة إلى مدينة غريبة، واي رجل ممكن أن يخطىء في دخوله المقصورة الخاطئة. الفتاة اللاتينية محافظة جداً سنيوريتا ويكون لها مرافقة.

ـ وهل تقترح علي بأن يكون لي مرافقة؟

www.liilas.com

كان صوته حازماً مثل نظرته وأضاف.

- أنت في المكسيك.

- أنا متيقظة لذلك، لسعت عيناها وجهه الارستقراطي وشعرت باحساس من الذعر حثها على أن تخطف روب النوم خاصتها، لم تلتقي في حياتها ابداً برجل شوش فكرها، وأرادت ان تخبيء نفسها من هذه العينان اللاتينيتان.

- انا افضل ان اكون وحدي سنيور واكون ممنونة لك اذا خرجت الآن من هنا وتركتني وحدي.

- انا احيرك اليس كذلك.

- هذا مدهش جداً سنيور، وماذا اذا صرخت وايقظت كل المسافرين.

- يجب ان تكوني حذرة اكثر سنيوريتا.

حرك الدون يديه بطريقة جذابة وطريقة كلامه جعلتها تفكر بأنه يعرف جميع انواع النساء.

تحول الى الباب ثم لمع البرق في الخارج حيث قال.

- هل تخافين من هذه العواصف.

- طقسنا اكثر اعتدالاً من هذا.

عيناها استقرت على وجهه مع ومضة من الجدية ثم تابعت.

- أنت تتكلم الانكليزية بطلاقة لدرجة اعتقادي بأنك كنت هناك.

- ذات يوم سوف اذهب الى هناك، انا متعجب من البلد التي تسمح لنساءها بأخذ اكبر قدر من الحرية... ربما اتيت الى المكسيك لأنك معجبة بها.

- المكسيك مليئة بالألوان، ومدينة تاريخية دون ديلكادو، ان النساء الذين يعيشون في عزلة يثرن شفقتي وهم برفقة مرافقاتهم.

- انت بلا شك تفعلين، بالنسبة لهم يبدو بأنك تعيشين وحدك ولا شخص يهتم بك ويهتم اذا رجعت ام لا.

لم يكن هناك أحد بالفعل يهتم لها اذا رجعت ام لا وهي لم

تكن تقبل حقيقة ذلك.

- في انكلترا الفتيات تنشأ على ان تقفن بثبات على أقدامهم.

خرجت الكلمات من شفتيها بصعوبة وكانت رومي واقفة على قدميها عندما اصدر القطار صوتاً مخيفاً، وخرجت عجلاته عن السكة وبعدها اهتز وكأن يدين حديديتين هزته من مكانه. احست رومي بدموع تنهمر في عينيها ويدان تمسكان بها وتطبقان عليها على الصدر العريض كل شيء اختفى، وقع، تحطم... كان كل ذلك مثل اندفاعة القطار. مثل ومضات الأضواء الأزلية.

- آه يا الهي.

تعلقت رومي في الرجل الواقف أمامها. هذا الغريب الذي له مكانة مختلفة وقرارات حازمة، قدم ذراعيه كمأوى لها من الأرض الغاضبة.

www.rewity.com/yb

الفصل الثاني

وقع الدون وروميو فوق السرير من جراء الصدمة، وشعرت رومي بالخوف ليس من جراء العاصفة المطرية فقط.

كانت ترفع نفسها عن السرير عندما رفع الدون ديلكادو نفسه وحدق الى الأسفل حيث تجلس في الضوء الخافت، كانت عيناها واسعتان، ذو خضرة شديدة في وجهها الأبيض، وكان فستان نومها يصل الى نصف اكتافها، وكان كل عصب من جسدها المرتجف متيقظاً له، كانت محصورة خائفة بين ذراعيه، اطلق سراحها وانزلق بعيداً عن السرير، كان يمشط شعره الأسود بيدٍ ضجرة ويغرس اقدامه الطويلة في أرض المقصورة.

- نظريتي عنك برهنت سنيوريتا بأنك لست من النوع الذي يصرخ...

عادت النظرات الشيطانية الى عينيه وأضاف.

- لا يوجد هناك أي شك بأنك كذلك، واذا كان شعورك الزهيد مهتز فأنا سأذهب.

- أنا... أنا أشعر بأنني بخير سنيور، ثم ارجوك اذهب وعاون.

انحنى بشكل استهزائي وأخذ طريقه الى الباب، امسك

المسكة وسحبها، اهتز الباب قليلا ثم تملص، ودفعه بكتفه القوي مرة ثانية، وبعد عدة محاولات رفض الأذعان وقال بلغة اسبانية.

- الباب مغلق، لابد ان سرعة القطار جعلت القفل لخارجي يخرج عن مكانه... ونحن محبوسون هنا تقريباً.

- آه لا.

قفزت رومي عن السرير، وراقبت في رعب الدون ديلكادو وهو يصارع من أجل فتح الباب ثم قالت رومي.

- انني املك مسامير ومبرد... هل هذا يساعد، سنيور؟

- انني احتاج الى قارص.

قال ذلك وأدار نفسه ليواجهها واسنانه تظهر عن ابتسامة حادة وأضاف.

- لا أظن بأنك تحتفظين بواحد تحت مخدتك.

استطاعت الفتاة أن تشعر بقلبها النابض من جراء الصدمة المزدوجة من التحطم ومن اغلاق المحادثة.

- الـ... الا تحملين معك احدى السكاكين.

- انني لست تلميذة مدرسة، واذا ما كنت احمل معي سكين فلن تكون بالطبع في جيبة قميص النوم.

- انني اخشى من انك تحتاجين لكل شجاعتك الأنكليزية، نحن بدون شك محبوسون هنا مع بعض في مقصورتك، ولن يعرف احد متى سيطلق سراحنا، ان المسعفين سيحضرون الى هؤلاء الذين اصيبوا بأذى أولاً، وكذلك نحن سنأخذ النهار كله نحاول فتح هذا الباب وربما حتى مطلع النهار.

- مطلع النهار.

اهتز جسمها الرقيق بخوف وأضافت.

- أنت لا تعني بأننا سنبقى طوال الليل معاً.

- ليس لي أي خيار.

بدت أسنانه وكأنها تقضم الكلمات وأضاف.

- لا يوجد لوح حديد لكسر هذا الباب.

www.rewity.com/vb

- وهل أنت اكيد بانه ليس مفتوحا؟

نظرت اليه بتشكك ثم أضافت.

- ارجوك افعل شيئاً دون ديلكادو.

- وماذا تقترحين سنيوريتا؟

بدا وكأنه يستمتع بالحالة التي هو فيها وأضاف.

- انني اصلي بأن تفتح الأرض لأستطيع أن اعود الى مكان آخر، ربما انت تلومينني لدخولي مقصورتك خطأ، ولكن لا تنظري اليَّ وكأنني انا الذي رتبت السرعة الهائلة للقطار على السكة.

- ليس هناك من داعي ان تكون استهزائياً... انني ادرك ما حصل ولكنني أرفض أن أصدق بأننا سنبقى هنا حتى الصباح، اذا ما ضربنا على النافذة أو حتى صرخنا بشخص ما قادر على سماعنا فسيأتينا بالمساعدة.

- اذا ما اصغيت اليَّ دقيقة سنيوريتا، فسوف تسمعين بأن بقية المسافرين في العربات الأخرى ينادون على المساعدة. نحن محظوظون لأننا لسنا في اذى.

- ولكن فرق الأنقاذ ستأتي حتماً قبل الصباح.

- ربما.

هز كتفيه واتكىء ثانية على الباب وكيفما كان فالوضع واقعي جداً واضاف.

- نحن في الأماكن الأكثر وحشة في المكسيك، وانا اعتقد بأنه سيمر بعض الوقت قبل وصول المساعدة، هناك ميل في الطبيعة اللاتينية تعتقد بالقضاء والقدر اصغي الى الرياح... انها تطغى على الأصوات.

- نعم تمتزج مع صيحات الحزن وتجعل كل شيء يبدو مثل كابوس مزعج...

نظرت رومي الى الدون وهو يقف هناك ينظر اليها بكتفيه العريضين.

- بلد واسع مثل المكسيك... لا يزال يبقي على معتقداته القديمة، وفي عدة نواحي يبدو ذلك شيء غريب بالنسبة لفتاة انكليزية، يسمح لها والديها غير الحكيمين بالسفر وحيدة الى هذه المدينة وكأنها الصحراء، ببراكينها، هل يعتقدون بأنها بلاد متسامحة وخضراء؟ هل يصدقون محبة شعبها للغرباء، هم لا يدركون ما يمكن أن يحصل لفتاة غريبة في بلد غريب.

جلست رومي على السرير كفتاة صغيرة وفكرت بأنها تستطيع ان تسمع صياح بقية المسافرين على القطار المحطم.

كانت متيقظة تماماً وشعرت بنفسها ترتجف، وعرفت بأن سبب ذلك يعود الى الرجل الذي أخبرها بهدوء بأنه يجب أن تقضي الليل معه.

كانت أول مرة في حياتها التي تضطر فيها لقضاء ليلة مع رجل. ولم يكن هناك أي مكان لتهرب منه، سمرة جسده، انحناءاته الرشيقة، وقوته الجسدية... وكل هذه الصفات اجتمعت لتنبهها منه، ولقد جعل هذا الرجل، من لانس امامه وكأنه ولد غير ناضج.

- استطيع أن اعتني بنفسي.

تكلمت في استخفاف لم تشعر به وأضافت.

- كنت افعل ذلك منذ سنتين، وهذه الرحلة هي أول عطلة حقيقية بالنسبة لي، انني اعمل لأعيش، انني لست فتاة مدللة.

- انا لم اعتقد ذلك ابداً سنيوريتا، لقد كنت ودودة جداً مع النادل.

ثم مدّ يده الى جيبته واخرج علبة مكسوة بالجلد ثم قال.

- هل تمانعين اذا ما دخنت؟

- وهل انت بحاجة للسؤال سنيور؟.

- ولكن هناك بالطبع نساء يمانعون عادة التدخين.

- وهل يهمك أن تمانع النساء.

- اذا ما كانوا يرغبون في ذلك.

أخذ سيكار من محفظته، وخاتمه ذو الفقمة المصنوع من

www.rewity.com

الذهب الثقيل يبدو وكأنه منحوت مثل وجهه. هذا الخاتم ربما يعود الى عائلته، الى أيام الفتوحات. تأجج الضوء في الظلام وقذف الدخان من رئتيه، كان الدون مطبوعاً بالجمال اللاتيني لم يكن وجهه مصبوغاً بلون النحاس مثلما كان جلده. لقد كان عرسان أجداده مختارات من الأديرة الايبيرية في اسبانيا، حيث الفتيات من العائلات المحترمة، حيث يحفظون في عزلة حتى ينضجوا ويتزوجوا، وبعد ذلك تسافر الفتاة مع مرافقتها الى المكسيك لتتزوج من احدى الكنائس الذهبية الى رجل لم تلتقه ابداً. كانت عادة بربرية رومنطيقية، اعطاء فتاة إلى غريب الذي ربما يكون عديم الشفقة أو غير مبال.

كانت الفتاة غير قادرة على ابعاد عينيها عن وجه الدون، شعرت رومي بكل تلك الأفكار تتسابق في عقلها. دون ديلكادو دي افرادو أي ڤالكازار كان يمكن ان يكون هذا الرجل عديم الرحمة، وكانت عيناه البراقتان كالنار القادرة على احراق اي فتاة بسهولة.

الرائحة الذكية التي تنبعث من سيكاره. تشق طريقها الى السقف وكان يراقبها بكسل فقال.

نحن مرتبطون بظرف يجعلنا نقضي الليل معاً... لذا انا اقترح ان ترتاحي وتحاولي التوقف عن الاضطراب وكأنك فأرة وانا قط انتظر لحظة الانقضاض عليك... ارجو ان تضعي قميص نومك عليك لأني ارى بأنك ترتجفين، وسنحاول ان نجعل موقفنا جيداً.

وهل تعتقد حقيقة بأنه ستمر ساعات قبل أن يأتوا... سنيور؟ وماذا بالنسبة لصديقك الذي يبحث عنك؟

- إذا ما كنت اعرف جافيير فأنا اعتقد بأنه سيساعد، هو جندي مساعد، وسيعتقد بأنني مشغول بمساعدة المنكوبين، اتمنى فقط لو استطيع المساعدة، ولكن القضاء والقدر مكتوبان.

- انا لم اسألك أن تأتي خطأ الى باب مقصورتي.

ربطت رومي حزام قميص نومها بقوة ثم أضافت.

- انه ليس خطأي بأنك هنا، لقد كنت جاهزة لاذهب الى السرير، وكنت أريد اقفال بابي خلال الليل.

- الآن القدر هو الذي اقفله، وأصبح لديك شريك سواء رضيت بذلك أم لا، هل لديك علبة تحتوي على ورق لعب في حقيبتك؟

- نعم.

حدقت فيه بعينان واسعتان.

- انا احب ان العب بمفردي.

- لعبة للوحدة، هل انت انسانة وحيدة سنيوريتا؟

- ليس لدي اي مرافقة سنيور.

قالت رومي برحابة وكانت ابتسامتها قصيرة ورأت اسنان الدون البيضاء، وجلده الأسمر الساحر في ظلمة القطار.

- هل لي بالورق؟

- بالطبع.

رجعت الى حقيبتها، وبعدها لاحظت بأن أدوات التجميل الخاصة بها مطروحة على الأرض عندما انحدر القطار عن سكته وسحبت المحتويات للخارج. توقف الدون أمام الحقيبة وبدأ بلتقط اشياءها المبعثرة وأعطى كل واحدة لمحة خاطفة، أدوات تجميل، قرن فيل ساحر صغير، درسه لعدة ثواني ثم قال.

- أنت تعتقدين بالخرافات.

- اعتقد بأن جميع الناس يفعلون سنيور، أنت تعتقد بأن القدر له يد في كل ما حصل.

أنا لاتيني وبما ان لي معتقداتي في القدر...

وبينما كان يتكلم التقط صورة شمسية وقعت من محفظتها وبعدها أخذ يراقبها بحدة ثم قال.

- هل هذا أخاك؟

- لا.

انتفض قلبها تحت ثيابها الزهرية اللون وقالت.

www.rewity.com/vb

- ليس لي أخوة.
- ابن عمك، ربما؟
- ابن عمي الوحيد هو فتاة.
- ارى ذلك.

قال ذلك وأسقط الصورة الشمسية في المحفظة ثم أغلقها وناولها اياها.

- اعتقد بأن كل شيء بأمان، بما في ذلك جواز سفرك وأوراقك.. هذا المسدس الصغير، سأحتفظ به في جيبي مؤقتاً، انها لعبة جميلة المظهر ولكنها خطيرة بالنسبة لفتاة صغيرة. كانت ابتسامته شيطانية وأضاف.
- والآن بأذنك أو بدونه آنسة الن سوف اتخذ مكاني على سريرك وسنلعب الورق.

راقبت رومي بشعور من الضجر الأيدي النحيلة وهي توزع الأوراق وظهر وجه الدون في الظلام ساحراً وجذاب ولم تستطع رومي أن تنكر ذلك ولكنه كان محقاً عندما قال بأنها مضطربة في ان تكون شريكته، مشى نحوها. وسواء احبته أم لا فهي مضطرة على تحمله حتى يبزغ الفجر، كان كل تفكيرها منصباً على قدوم الفجر حيث سيذهب كل واحد في طريقه.

التقطت اوراقها ونظرت اليها... ولسبب ما فكرت بأسم الدون الأول. ديلكادو في الاسبانية تعني الضوء. ولكن شعره كان داكناً جداً، حاجباه وجلده، الضوء... الشيطان... الملاك الداكن.

- ارجو ان تبدأي آنسة آلن.

لم تستطع ان تسأله كيف يمكن أن تعرف لقبه، لا بد من ان عيناه الثاقبتان لمحت اسمها على الباسبور، رمت برصانة ورقة الملك في يدها.

- هل تريدين ان اخسر.
- لا تستطعين ان تقاومي انتظار بزوغ الفجر، ايه؟.

- لا استطيع ان اكون صبورة.
- اني أمل ان لا تكوني متأسفة.

قال الدون وروسي شخصان غريبان مضطران ان يقضيا الليل معاً.

شرع الاثنان في اللعبة، وكانت رومي متيقظة تماماً لصورة الرجل الداكنة في اسفل سريرها، وهو يراقبها من تحت جفونه، قال شيء فيه كان يسخر منها وكان يدرك ذلك تماماً. ماذا ستقول عمتها وايريس اذا ما رأتاها الآن، ماذا سيقول لانس، اذا كان فعلاً يهتم بها.

ان ذلك حقيقي، فكرت رومي بخوف لأنها كانت محجوزة في مقصورة القطار مع رجل يدرك طريقه تماماً، افترضت انه اذا ما تقدم منها وسحبها بين ذراعيه القويتين... ان صرخت لن يسمعها احد، سيعتقدون بأنها احدى المسافرين المنكوبين الذين يصرخون طلباً للمساعدة.

- ما هو الوجه الصحيح الذي تملكين؟

قال ذلك وأضاف.

- اعتقد الآن بأنك سوف تتعجبين اذا ما أصبحت عاشقاً، ارجوك سنيوريتا، لا تخرجي من جلدك الانكليزي الرقيق. عندما تفعلين ذلك فإنك تعطين نفسك البراءة.

درس الدون ديلكادو رومي وكان هناك نوع من الاستهزاء والجاذبية في عينيه التي جعلتها تريد ان تنعته بكلمة شيطان وتقولها في وجهه. كانت رومي تتوتر عندما يتحرك فجأة. وكادت ان تصرخ عندما حرك يده الى جيبة في ثيابه ليتناول محفظة سكائره.

- انا سأدخن... فقط لأثير اعصابك.
- اعصابي هادئة تماماً.

قالت ذلك وأضافت.

- ولكن ليس كل ليلة في حياتي اكون فيها مضطرة ان أقضي

ساعات مع غريب، واتعرض لتهكماته، لأنني أعيش على طريقتي الانكليزية عكس هؤلاء الفتيات اللاتينيات. التفت اليها من خلال دخان سيجاره، وارتسمت تلك الابتسامة التهكمية على شفتيه.

- انت تقفزين الى استنتاجات ليست مبررة، سنيوريتا. الفتيات اللاتينيات هم اكثر حرصاً ولكن في الأزمات هم أقل من هادئات، انت لم تصرخي عندما وصل القطار الى حالة الخطر، ولكنك فعلت عندما أردت ان آخذ حقيبة السكائر، اخبريني، هل تعتقدينني فاسق وفاسد.

- اذا كنت ساذجة وبريئة كما تعتقد سنيور، فأنا يجب ان اكون مرتابة منك.

- ولماذا انا على وجه الخصوص.

ارتبطت عيناها على وجهه وكل ذلك بسبب الخوف الذي لابد كتب بهما. اغلقت عينيها وكأنها تأمرها ابعاد ذلك الوجه الساحر والخطر، وبعد عدة ثواني القت برأسها على الوسادة ووقعت أوراق اللعب من يديها، ونامت... وبدأت سحب الدخان تمر من أمامها غير منتبهة للدون الذي قام ووضع الغطاء عليها، وفي نومها تكلمت شيئاً فرفع الرجل رأسه الفاحم ليلتقط الكلمات، وعندها استقام واقفاً، تجهم قليلاً، ووقع نظره على المحفظة التي كانت على أرضية المقصورة حيث غزا عليها.

كانت رومي مستغرقة في النوم عندما لمست يد ما كتفيها توقظها. فتحت عينيها ثم استلقت لمدة، اضطربت من المحيط التي هي فيه ومن النظرة العابسة التي كانت تراقبها في الظلام، بدأت احداث الليلة الماضية ترجع الى عقلها وعواطفها وقبل أن تنهض ابعدت نفسها عن يد الدون ديلكادو.

- الاسعافات موجودة هنا.

برز لون حاجباه السوداوين بشدة فوق عينيه السوداوين وأضاف.

- قبل أن يبدأ الرجال في فتح المقصورات، آنسة الن، اعتقد

بأنه يجب علينا ان نتكلم.

جلست رومي ثم قالت.

- ما هو المهم الذي ستتحدث فيه، سنيور؟ انظر! ها هو الصباح، سيفتح الرجال الباب حالاً.

- تقريباً، هناك شيء يجب أن اطلعك عليه، وقد اخرته لهذه النصف ساعة حيث سنكون وحدنا.

تسمرت عيناها عليه، واسعتان، حائرتان من بعد النوم، راقبته وهو يأخذ مكانه على سريرها وفكرت بعلاقاته الشخصية بالنساء، للمرة الأولى تساءلت اذا ما كان رجلاً متزوجاً، واذا كان كذلك، فماذا سيقول لها عن قضائه ليلة مع فتاة غريبة.

- انني مسرور بأنك تدبرت نفسك ونمت جيداً.

وبينما كان يتكلم كان يدرس خاتمه الذهبي الثقيل والفقمة المنحوتة عليه.

- لا شك بأنك سمعت بأننا نحن ذوي الدم اللاتيني نملك شعور قوي بالكرامة.

- سمعت شيئاً من هذا الشيء سنيور.

- ان الليلة التي قضيناها معاً وضعتنا في موقف حرج، انا لا اهتم بأن اكون في وضع مثير للحياء، هل تهتمين انت؟

- حياء...

واجهت رومي عينا الدون كانت النتيجة ان ضرب قلبها بسرعة وأضافت.

- ولكننا لم نفعل... شيئاً، لقد لعبنا الورق، وأخبرتني انت عن بلادك، لا نملك الا ان نقول الحقيقة.

- هذه واحدة من الأسباب، انني اخشى من ان يتناقل الناس هذه الحكاية، ومن الأفضل ان نفعل شيئاً لانقاذ ماء الوجه.

ومض الخاتم الذي في يده ثم أشار الى معطف النوم الذي كان يرتديه.

- لأنني ارتدي ملابسي على هذا النحو، سأدعي بأنني اتيت

www.rewity.com/vb

إلى مقصورتك وفي نيتي قضاء الليل هنا، أو جزء منه، وبعدها عندما حصل حادث القطار، وجدت نفسي مضطراً بأن ابقى هنا لأن الباب لم يفتح، كل شيء منطقي...

- ولكن انت حاكم هذه المنطقة.

احتجت رومي واضافت.

- كلمتك بالتأكيد تعهد مقدس.

- في العيون اللاتينية، سنيوريتا، فان الرجل يحاكم أولاً.

ارتسمت ابتسامة جافة على شفتيه وتفرس في وجهها حيث لمح الرعب في عينيها.

- كان من الخطأ ان تسافري وحدك الى هذه البلاد، ان الفتيات اللاتينيات من العائلات المحترمة يسافرون دائماً برفقة مرافقة... اذا ما حصلت مصيبة ما في آخر الليل امام شاهد ما، فلا أحد منا سيكون في خطر.

- ان شعبك يصدق فقط ما يجب ان يصدقه، انا اعرف الحقيقة وهذا كل ما اهتم به.

- ربما هذا هو كل ما تهتمين به، آنسة آلن، ولكن دستوري انا ليس مرناً.

- اذا كانت مبادئك اللاتينية متحفظة جداً، فلماذا تراقب الفتيات اللاتينيات وكأنهم غير مؤهلين للثقة بهم. يبدو سنيور بأن النساء والرجال في هذه البلاد لا يثقون بأنفسهم، حسناً انني انكليزية وانني لا أدع عيون الرجال تأخذني بنظراتها لأنني اعرف كيف أصون نفسي وأحافظ عليها.

- اخبريني سنيوريتا.

كانت نظرته تهكمية وهو يتكلم ويضيف.

- اذا كنا في بلدك في هذه اللحظة، وكنا في نفس الوضع، محتجزين في هذه المقصورة معاً، فهل سيصدقون بأنني قضيت الليل في اسفل سريرك.

- ولماذا لا يصدقون.

تكلمت رومي باستخفاف لم تشعر به واضافت.

- على اي حال، لا بد من انهم سيهنئون من الحقيقة، ولن يعتبروها كقضية شرف، انا اكيدة دون ديلكادو بأنك لم تعيش حياة براءة.

- رجل غير مستقيم آنسة آلن، لا يظهر عادة في هذه الطريقة، لقد التقيت هنا معك... كل مقاصد ونوايا حبيبك.

- حبيبي!

نفست بشدة وتفرست عيناها الخضراوين في وجهه، الذي جعله ضوء النهار شيطاني اكثر.

- ربما من الافضل ان تكسر رقبتي سنيور وتدعي بأنني ضحية الاصطدام.

رفعت قبة قميصها إلى الاعلى وشدت الحزام لتغطي جلدها الابيض، وقال لها.

- الا تحبين ان يتعجب الناس من شجاعتك الانكليزية.

ضاقت عيناه في طريقة خطيرة وقالت رومي.

- نعم انا احب ذلك.

وجدت رومي متعة في تحدي هذا الحاكم المستبد واضافت.

- اعتقد بأنك تفضل الفتيات اللواتي يسلمن نفسهن بدون مقاومة.

- يجب توفير الطاقة للاشياء الافضل.

شرارات نارية خرجت من عينا الدون في وجهه الاسمر الجذاب.

- الاسبانيون يفضلون ان يحاطوا باحترام عالي آنسة آلن.

- بالطبع انت لا تقول بأن الاسباني يذهب إلى النهاية ليبرهن لنفسه بانه شريف.

- انه يريد الذهاب اكثر من ذلك آنسة آلن، لكل واحد منا بقايا تعود إلى ماضي اجداده، ان شعرك وعيناك برهان حي بأنك ترثين شيئاً منهم. انا مرتبط بفرسان سانتياغو والحروب ضد الكافرين.

www.rewity.com

توقف الدون قليلاً عن الكلام ثم اضاف.

ـ انت بعينيك الخضراوين تنحدرين من الساحرات. من يعرف؟ ولكن الشيء الاكيد هو اننا سنجد انفسنا في طريقة مرضية.

ـ وبعد ذلك علينا هزها، مثلما هزيت انت اسلافك الشياطين.

ـ نفس جميل للحياة.

قال ذلك بنعومة خطيرة واضاف.

ـ هل انت هادئة بحيث لا ترين احداث الليلة الماضية وكأنك طفل وحيد مع رجل من عمري، مركزي، دمي، انظري الى نفسك، هل يبدو لك فعلاً بأننا قضينا الليل في لعب الورق... آنسة آلن. انت قادرة على اغواء شخص صغير ليصدق الحقيقة، تغطي عينيك ابتسامة ساحرة، اليس كذلك.

ـ انا اعتقد بأنك شيطان في مدينة مكسيكو، الآن عرفت من انت.

ـ لست مثل الشيطان، سنيوريتا... لأنني لو كنت مثله لاستغليت الوضع وتعرضت لبراءتك وسوف اقول لك ماذا كان سيقول الناس عنك... اذا انا لم افديك باسم جديد واقول لكل شخص بأنك الفتاة التي سأتزوجها.

الفصل الثالث

ـ الزوجك...؟.

كانت كلماته كصدمة القطار حيث كان المهندسين يحاولون اصلاح القطار واعادته إلى سكته والذي اهتز للحظات ثم ثبت مكانه حيث شعرت رومي بإحساس حقيقي بالدوار.

لفرست في الدون ديلكادو بطريقة الانذهال وقالت.

ـ انت تخبرني بأنني يجب ان اقترن بك، الناس في بلادي يقعون في الحب قبل اتخاذ اي خطوة.

ـ هناك وقت صغير متروك للوقوع في الحب.

كانت لهجة صوته تهكمية حيث اضاف.

ـ اصبح القطار الآن على سكته الصحيحة، وفي اي لحظة سيفتح الباب، وسوف يجدوننا مع بعض في وضع مشتبه به وخصوصاً في هكذا ثياب.

ـ انا... انا يجب ان ارتدي...

بدت رومي في حالة يائسة حيث امتلأت المقصورة بنور الصباح، واستطاعت ان تسمع الاصوات الاتية من ممر القطار لعمال الانقاذ.

ـ واين سترتدين ملابسك؟.

سألها الدون وهو ينظر اليها نظرة شريرة ويقول.

- هل سترتدين امامي؟.

امسكت رومي انفاسها وداركت في لحظتها بأنه اقتراح غريب ان ترتدي المرأة ثيابها بحضور رجل امامها، وبدت وكأنها تشتعل من رأسها حتى اخمص قدميها من جراء نظرة عينيه الساحرتين وقال.

- هل بدأت تنظري إلى الامور بوضوح الآن... اننا رجل وامرأة، وقضيتنا محفوظة معنا. والحل الوحيد لكي نتجنب الاحراج والمشاكل هو ان اكون رجلاً مع عروسه عندما يفتح هذا الباب.

- لا يمكن ان تكون جدياً.

كانت نظرته توحي بأنه لا يمزح واضافت.

- انت جاد في كل هذا؟ انت تعني ما تقول؟.

- كل كلمة آنسة آلن.

- ولكنه شيء مخيف، كيف استطيع ان ادعي بأنني اهتم بك... ان املك شعوراً بالعاطفة تجاه شخص بالكاد اعرفه.

- العاطفة... يا لها من كلمة عميقة!.

- انها افضل من كلمة تهديد.

- تهديد آنسة آلن، ما اقترحه هو خطوبة مكان هذه الفضيحة، بالتأكيد عائلتك ستتعرض للمهانة اكثر اذا ما عرفت بأنك فضحت مع اسباني في براري المكسيك.

- ليس لدي عائلة.

- الآن فهمت جيداً لماذا لم تخبريني قبلا بأنه ليس لديك عائلة، هل كنت تعتقدين حقاً انني ابتغي فائدة منك؟.

- الم تأخذ فائدة عندما اقترحت ان اكون خطيبتك، كيف لي ان اعرف بأنك كنت ستجعلني حرة بعد ذلك، لاذهب في طريقي، كل ما اعرفه هو ان الخطوبة في المكسيك تعد كرباط الزواج، وانت آخر رجل على الارض ارغبه زوجاً لي.

- شكراً.

وقف على قدميه وقدم لها انحناءة ساخرة وقال.

- يا لهذا المنظر، ليس لدينا اي شاهد يرى كرهنا المتبادل.

- وهل تهتم حقاً بما سيقوله الناس؟.

- بما انني فنصل في هذا الجزء من البلد فلا يجب عليّ إلا ان اهتم... رحمة بنا نحن اللاتينيين، وان ارفض ان تهدر كرامتي.

- تتكلم كرجل يضع عروسه قبل اي شيء آخر... انني متأكدة من ان شعوري تجاهك ليس لديه اي اعتبار عندك.

- بالعكس، انني اصلح غلطتي التي ارتكبتها الليلة الماضية، بالطبع انت تفضلين ان تكوني عروسي على ان تكوني فتاة تتسلط الاضواء على اخلاقها. فتاة انكليزية قضت ليلة حب مع رجل اسباني.

- لم يكن هناك اي ليلة حب!.

قالت رومي ذلك وهي تتنفس بشدة وقال الدون.

- ولكن الناس لن تعتقد ذلك، ستدمر سمعتنا بالطبع اذا ما رفضت الاصغاء الى صوت العقل.

وصلت يده الخشنة إلى يدها التي كانت تتمسك بشدة في غطاء السرير ثم تابع.

- انني اؤكد لك ان قصري في وادي الشمس هادىء وجميل، وسوف يعجب مخيلتك النشيطة.

- انك تهدي واديك رشوة سيدي، لعبة لتنجب لك طفل فقط.

- انني ارى بأن نصائح الرجال ليست سهلة بالنسبة اليك، وهذا شيء مهم.

- حقاً.

حاولت ان تحرر يدها من قبضته ولكنها كانت كالطوق، قوية إلى درجة آلمتها ثم قالت.

- هل تستطيع ان تخبرني ما هو هذا الشيء الهام. ولا تحتفظ بالسر لنفسك، آه، انك تؤلم معصمي.

www.rewity.com/vb

- ان الفتيات اللاتينيات يتعلمن ان يكن مطيعات ويحترمن الرجل الذي سيتزوجنه.

- انت لست ذلك الرجل.

وبينما كانت تتكلم فكرت بأنها وحيدة في ارض غريبة حيث قانونها صارم جداً ولا يصفح بعكس ذلك الذي في انكلترا، عرفت رومي من نظرة وجه الدون المتكبر بأنه ينتمي إلى واحدة من العائلات العريقة، عائلة متداخلة في تاريخ البلاد.

- دعينا نتفهم بعضنا يا آنسة... ان هذا الارتباط سينفذ لان القدر يحتم ذلك، ولكننا لسنا مضطرين ان نحب بعضنا، انني انقذ حياتك آنسة آلن، هل تفضلين الوردة القرمزية لامرأة قرمزية.

- انه... انت تملك طريقة عقابية في عرض الاشياء، دون ديلكادو.

- انني آسف اذا ما كنت اعاقب في ما اقوله، ولكن نحن اللاتينيين شعب واقعي، ولنا اقوالنا، والليلة سوف يسألك شاب عن القبل التي تعطينها بحرية وبدون احراج.

- لا... ارجوك.

قاطعها الدون قائلاً.

- هل تسمعين؟ انهم يفتحون الباب.

اضطر قفل الباب على الاستسلام بعد عدة ضربات تلقاها، وكان يقف العامل في السكك الحديد هناك في الفتحة مأخوذاً بالعينين الجديتين للفتاة وهي مستلقية على السرير، والشخصية الداكنة التي كانت شامخة بجانبها وقال الشاب.

- دون ديلكادو!.

استوضح العامل ومال الدون برأسه الاسمر وكأنه كان لقاءً عادياً على الطريق حيث قال.

- صباح الخير ايها المفتش، آمل ان لا يكون هناك مشاكل كثيرة على القطار.

وبينما كان يتكلم بالاسبانية، عرفت رومي من لهجة صوته بأنه

يقدم على الاتفاق ولا يبدو عليه الارتباك، كان يحملق العامل الواقف هناك فيها، وعلى الفور سحبه الدون إلى الوراء واصدر له امراً جعله يرتد إلى خارج المقصورة، اشتعلت وجنتاها وشعرت على الفور بقوة حماية هذا الاسباني لها... لقد قرر الدون مصيرها، حيث قال الدون للرجل.

- السيدة الصغيرة خطيبتي، ونحن في طريقنا إلى قصري لنعلن بأننا سنتزوج في كنيسة العائلة، لقد اتيت الليلة الماضية لاتمنى لخطيبتي احلاماً سعيدة، وعندما كنت هنا حصل ما حصل للقطار وافقل الباب علينا.

ادركت رومي ببطء غطاء السرير والذهول بادي عليها وعلى المفتش الذي ادرك نفسه وقال.

- كل شيء مفهوم، وكل شخص سيكون سعيد من اجلك سيدي.

- شكراً.

لم يحدق الدون في رومي لمدة خمس دقائق تكلم الرجلان بسرعة، لا شك يتكلمون حول مشكلة القطار. وبعد ذلك استطاعت ان تلتقط كلمة اسبانية «عن الفطور». وبعد لحظات ومع ابتسامة مهذبة انسحب المفتش واغلق الباب قدر الامكان. ادار الدون نفسه ببطء وحدق في رومي وقال.

- كل شيء منتهي.

قال ذلك في لغة انكليزية مع لهجة شددت على الكلمات في طريقة مزعجة نوعاً ما.

- سوف تصبحين الآن عروسي ولن تجرؤ روح بعد الآن ان تهمس لك، تعالي... حاولي ان تبتسمي، وادي الشمس ليس بالاقليم القبيح.

كان الدون بارعاً في قراءة أفكارها، وسرى الرعب في عروقها وتجرأت بصعوبة ان تنظر الى الرجل الذي ادعى انها خطيبته. يا للسماء، كيف كانت ستشعر اذا كانت قصتهما حقيقة وليست

www.rewity.com

مزيفة.

- احب ان اعرف اسمك الأول. . . لقد لاحظت اسم عائلتك على جواز السفر.

ابتلعت ريقها الجاف وقالت.

- كان اسمي روموولا ولكن عندما اصبح عمري ثلاثة سنوات مات والدي وتعهدت بي جدتي كانت تدعوني دائماً رومي وانا افضله نوعاً ما.

- ما زال روموولا فيه شيء من اللاتينية.

ومضت عينا الدون وهو يقول.

- لا تخافي، لن اجعل منك فتاة اسبانية، انني افضل الأشخاص الغريبي الأطوار لكي أنازلهم، وأنت لديك الكثير من الغرابة، سنيوريتا.

- هل هناك. . . كل ما اعرفه حتى الآن سنيور، هو ان عقلي مضطرب وانا خائفة منك نوعاً ما.

- تعالي، لقد اظهرت عقلاً بديعاً الليلة الماضية، وليس هناك اي سبب يدعوك للتفكير بخسارته في المستقبل، نحن نلعب لعبة فقط، لذا حاولي ان لا تظهري كعروس مشمئزة

- هل تأذى الكثير من الناس الليلة الماضية؟

- حوالي اثنا عشر شخصاً، ولكن جروحهم ليست خطيرة، لقد كان سائق القطار مسرعاً جداً، وقوة الأمطار ساعدت في ازاحة القطار عن سكته، المهندسون الآن مشغولين بإصلاح الأضرار التي سببها الحادث. وأنا أخبرت المسافرين ان يتركوا بعد طعام الفطور لنأخذهم بوسائل النقل الى اكزريكا.

- وهل أنا مرتبطة بأكزريكا.

- انك مرتبطة بمكان خاص ولكن ليس الآن، تكلم بصوت حازم.

- لقد امرت باحضار الفطور اليك وبعدها سترتدين وستغادر القطار معاً.

ان قصري يبعد حوالي عشرة أميال من هنا، وسأحاول أن اؤمن لنا بعض وسائل النقل.

- انت مصمم جداً سنيور. . . اشعر انني غصن مرتبط بجدول عاصف، هل يجب علينا أن أنفذ اقتراحك الرهيب، الا نستطيع ان نقول. . . .

- لو لم اكن سيد نصف هذه المقاطعة لكان الأمر سهلاً. بالنسبة لنا نحن الأثنين فهذا هو الحل الأفضل، انت لم تشاهدي كيف نظر اليك هذا الرجل، يجب عليك ان تقبلي بالأمر الواقع.

قال ذلك بجدية وأضاف.

- العاصفة، الحطام، وعما قريب مدفأة قصري.

- وادي الشمس. . . يبدو وكأنه مكان لعبادة الأزتيك.

- في الماضي كان الوادي ينتمي الى شعب الأزتيك. ولقد بني القصر فوق احدى معابدهم الوثنية.

قال ذلك بتؤدة وأضاف.

- الغريب ان لقائنا الأول اخذ مكانه خارج المتحف حيث كنت تدرسين العادات. هل تذكرين؟ واذكر ايضاً انك صنعت بعض المسودات التي اريتني بعضاً منها حيث كنا في طريقنا الى الفندق.

- نعم، انني اتذكر.

كيف تستطيع ان تنسى ذلك الوجه، لقد حضر صوته ووجهه الى ذاكرتها في ذلك الوقت ولكنها اخبرت نفسها بأن سبب رسوخهما في عقلها هو انهما التقيا في لحظات خطرة، بينما كان البناء ينهار والشبابيك تتطاير في الهواء.

كيف كان لها ان تعرف انهم سيلتقوا ثانية. . وكان اللقاء هنا في براري المكسيك حيث هي تحت رحمته كلياً، ضحية لتكون زوجته.

- حسناً بعد الافطار، سأحضر نفسي لأذهب معك. . الى وادي الشمس.

www.rewity.com

ـ حسنا.

التقت عيناه بعينيها وزادته الابتسامة دهاءً ومكراً حيث قال.

ـ ارجوك ان لا تحاولي التظاهر بأن الطلب يروق لك، وليس كأن الشيطان طلبك ليأخذك الى املاكه، ان الوادي مكان متحضر، ولدي احساس قوي بأن اقربائك في انكلترا ليسوا متجانسين تماماً، بماذا تفكرين... بذلك الشاب في الصورة وهو يحمل مضرب الكرة عالياً.

ضجت الكلمات في رأس رومي وأرادت انكار ذلك، وكأنه شيئاً مغرياً ان تقول بأنها تحبه ويجب أن تعود اليه. رأت اسنانه الماسية في وجهه الأسباني، ذلك الشعور الغريب جعلها تدرك بأنها في قبضة هذا الرجل الغريب. توقفت الكلمات التي كانت ستخرج من فمها، نعم، هي احبت لانس، ولكنه الآن زوج ابنة عمتها، شعورها بحبه ذهب الآن، جيد في التنس، السباحة والفروسية، ساحر وشاب محبوب من كل شخص، رفضت ان تسلم بما يقوله قلبها، ذلك انه تزوج ايريس وقالت.

ـ لانس كان صديقاً فقط.

ـ لا بد انه عزيز عليك، اذ انك تحملين صورته.

ـ نحن نعرف بعضنا منذ كنا اطفالاً، فهو لا يملك اخوات لذلك كان يعلمني السباحة والفروسية.

ـ آه... تجيدين الفروسية، ممتاز، نحن نمتلك أحصنة في المزرعة، وأحبهم ان يختبروا قدر الامكان. فصيلتهم عربية وستستمتعين بأمتطائهم. سترين.

كانت عيناه هازئتان ولكن ايضاً متسامحتان وأضاف.

ـ أنا لن أكون مستبداً.

ـ اتمنى ذلك.

ـ هل تعرفين الكلمة التي يطلقها الاسبان لنوع ارتباطنا سنيوريتا.

ـ شيء جميل، على ما اتخيله.

ـ يدعونه عطف بالقبول...

رفع حاجبيه وهو يقول ذلك وأضاف.

ـ وهذا يعني اننا مارسنا الحب قبل اعطاء عهد الزواج، صعب ان يفيض الرجل واسمه مرتبط بأي فتاة.

ـ وماذا... اذا اقسم الاثنان بأنهما لم يمارسا... الحب؟

ـ فقائل هم الرجال الذين يجازفون بسمعتهم وكأنهم نوفيلو.

ـ وما هو ذلك سنيور.

ـ يعني عجل صغير.

ـ آه، أرى ذلك، وهكذا بمقابل انقاذ كرامتك يجب أن أسلم نفسي لك ولعائلتك... مثل ضحية على حجارة المعابد حيث يرقد بينك.

تأملها بنظرة ساخرة ثم وبابتسامة قصيرة امال برأسه علامة الموافقة.

ـ ربما، ولكن لي نزاهة عائلتي لأفكر بها، لا تفهميني خطأ، ان الشعب اللاتيني ليس شعباً محدود التفكير، وانت ممكن أن تضيفي الى اسمي بين هؤلاء الرجال الذين يعملون عندي، وهذا يزدريه العائلات النبيلة، وممكن ان يقال هل من الممكن ان يكون الدون ديلكادو أغرى السائحات الصغار في هذه المدينة؟ آه، يا الهي، لن يكون هذا شيئاً جيداً لافراد عائلتي ان يسمعوا هذه الأشياء من شفاه اصدقائهم.

درست رومي وجهه المتكبر، وأدركت بأنه يمكن أن تكون لعنة عليه، ان يطلق عليه صفة اغراثي، ثم تذكرت قولاً قائلاً «لا تترك الطريق الرئيسي من أجل طريق مزعجة». ثم فكر في عقلها قالت.

ـ لا بد انني قابلت الشيطان نفسه.

وفي تلك اللحظة أحست انها على وشك البكاء لأنها لم تحضر لتكون خطيبته، وسمعوا بضع دقات على الباب وقال الدون.

ـ انتظر لحظة.

انحنى الدون على رومي وأمسك يدها وقال.

ـ اعرف افكارك سنيوريتا، يناك تفضحك بسهولة، كوني شجاعة وحاولي ان لا تصارعي القدر القاسي الذي أجبرنا على هذا الوضع، انت لا تتذكرين بأنني الشخص الذي يجب ان تحضري نفسك... لتحبيه.

ـ انا... انا غير ممكن لي ان احبك.

تكسرت الكلمات بين شفتيها وقال الدون.

ـ ولكني آمل ان تأكلي الطعام الذي امرت لك به.

كان وجهه مبهماً، عندما أمسك بيدها ورفعها الى شفتيه وقبّل تلك الأصابع الباردة وفي اللحظة التالية حرّر يدها.

كان الشخص الذي يحمل الفطور هو نفسه ذلك الشاب الذي كان لطيفاً معها هذا الصباح، تجنب الشاب النظر اليها، وضع الصينية على الطاولة وصبّ قهوتها وبعدها خرج من المقصورة.

حلّت رومي قهوتها ونظرت الى الطعام تحت الصحون المغطاة، بيض ولحم عجل مملح رغيف ساخن، زبدة وعلبة عسل... ولكن لا يوجد زهور بيضاء للسنيوريتا.

اكلت رومي الطعام بنهم وكان جسدها وأعصابها بحاجة الى التغذية لتعرف كيفية حل المشاكل الملقاة على رأسها. شربت قهوتها وبعد ان ثبتت الكرسي وراء الباب ارتدت ملابسها، حذائها العالي اضاف اليها طولاً وثقة بالنفس، عكست المرآة جاذبية وجهها وشعرها ذو التسريحة المناسبة. ملابسها الجديدة ابتاعتها بجزء من ميراث جدتها.

وبينما كانت تنظر في المرآة أخذت تتساءل وتقول لماذا كانت العمة مادج مرة اللسان معها.

تنهدت رومي، العيش في هذا العالم يعني التعلم من عدة شعوب واشخاص والمحاولة ان يكون الشخص لطيفاً مع غيره، هي افتقدت جدتها، وليس لها أحد الآن.

وبما كانت سقوط الجدة عن الدون ديلكادو، شعرت رومي بأنها مضطرة لكل شجاعتها لتستطيع مواجهة الحياة. نظرت نظرة اخيرة في صورتها المعاكسة فرأت فتاة بعيدة عن حقيقتها، عينان كبيرتان، ملامح حية صامتة.

فكرت رومي اذا ما كان بامكانها الهروب من هذا المكان ثم نظرت الى النافذة ونظرت فرأت حركة صاخبة في الخارج تروح وتجيء. كانت العربات في طريق جانبية وتقف الناس مجموعات مجموعات المكر، قلقة، وبعضهم يحتضن اطفاله، وبعضهم يأكل ويشرب.

كان من الممكن أن تضيع بين هؤلاء الناس، وكان بامكانها ان تدفع لأي شخص ليأخذها الى اكزريكا ونظرت الى قفل حقيبتها، وتذكرت تلك الليلة التي ستحاول ان تنساها سريعا. وصلت الى الباب ثم دفعت الكرسي جانباً وفتحت الباب ببطء ورأته يقف هناك يرتدي سترة بيضاء مع بنطلون للفرسان وحذاء جلدي لامع وقال لها.

ـ ها أنت هنا.

نظر الدون بعينيه الى وجهها ثم أضاف.

ـ لقد استعرت حصان صديقي الذي سيقودنا الى المزرعة، اتبعنا سنجمع لاحقا... تعالي معي.

ـ لا... اوجوك دعني اذهب الى اكزريكا.

لم يضع الدون الى حجتها وبخطوة واسعة وصل اليها وأخذها من يدها في أصابع بدت كالحديد.

ـ تعالي، يجب ان نكون في طريقنا الآن.

ارادت ان تتملص منه ولكن الناس كانوا يراقبونهم ويدرسون تفاصيل هذه الفتاة الانكليزية وعبرت رومي العربة حيث كان هناك حصانا اسود كان يمسكه رجل بزي الفرسان، للحظات وجيزة التقت عينا الرجل بعينها، وبعد ذلك اصعدها الدون سرج الحصان ثم انضم اليها وجلس ورائها وأخذ اللجام. شعرت رومي

www.rewity.com

بقربه منها، حرارته الدافئة ورائحته الرجولية.

ـ سنراك لاحقاً، استودعك الله.

قالها في الاسبانية حيث وقف صديقه بعيداً عن درب الحصان، رد الرجل السلام مع السلامة وحظاً سعيداً قالها في الاسبانية أيضاً. وعندما ابتعدوا لم تسمع غير طقطقة اقدام الحصان، انكمش جسدها وحبست انفاسها كانت يدا الدون القويتان تلتفان حولها وتحتضنها بثبات وتملك.

الفصل الرابع

لقد سمعت رومي عن فتيات خطفن بينما هم في بلاد غريبة، ولكنها لم تصدق بأن هذه الأساطير بعيدة عن التصديق، لم تحلم ابداً بأنه من الممكن أن يحصل لها مثل هذا الشيء، ولكنها على الأقل على سرج جواد اسود. تقطع بلاد من الصخور والظلال وضوء الشمس، خبأت رومي خوفها منه وكانت تشد على مسكة الحصان الناعمة.

بدا لها وكأنهم تركوا الحضارة جانباً ودخلوا اقليم تسيطر عليه البداية والشمس المحرقة. والرجل الذي قال لها بأنها يجب أن تكون عروسه المختارة، كل فرص الهرب ابتعدت عنها ومصيرها اصبح في يد الدون ديلكادو.

انزعجت عيناها من وهج الشمس القوي فقال لها الدون.

ـ يجب أن تضعي قبعتي فوق رأسك.

تكلم الدون بصوت جاف قاطعاً الصمت الذي كان قائماً بينهما.

ـ خذيها عن رقبتي.

ـ انني بأحسن حال.

ـ ان الشعوب ذوي القشور المتوسطة يشعرن بحرارة الشمس

www.rewity.com/vb

اكثر من الشعب اللاتيني الاسمر.

ـ ولكن انت لا . . .

قالت ذلك ثم استدارت للوراء لتصبح في وضع يسمح لها بأن تحل ربطة القبعة حول رقبته، كانت ستقول له بأنه برونزي البشرة، ولكنها فوجئت عندما توقفت الكلمات في حلقها، وحاولت ان تكبح اظهارها لمدى جاذبيته، لابد من انه سيضحك منها.

وبينما كانت تحل الربطة رأته يتنفس الهواء النقي بارتياح وحرية. ولاحظت كيف ان عينيه تومضان بينما هو يعاين المنظر العام امامه. وتعجبت وسألت نفسها هل أن اهتمامه بالنساء يعادل اهتمامه بالأرض التي يملك.

ـ هل أصبح شعورك ابرد.

استمعت اليه ثم رتبت القبعة فوق رأسها. وتمتمت كلمة شكراً.

ـ قولي شكراً في الاسبانية. اعتقد بأنه يجب عن تتعلمي لغتي، شكراً، هي واحدة من الكلمات المحببة الاسبانية.

ـ انني ممتنة بالنسبة للقبعة سنيور، ولكنني لست اسبانية، تذكر.

ـ طبعاً انت لست حمامة وديعة تحتقر اسم روميولا.

وبينما كان يتكلم شد عن قصد على جسدها مما أشعرها بعضلاته القوية.

ـ هذا ليس عدلاً.

قالت ذلك بعنف ثم أضافت.

ـ ليس عدلاً ان تقود فتاة معك وكأننا في القرن الثامن عشر.

ـ الم تلاحظي ابداً بأن مكسيكو سيتي، ما زالت أرض العادات التي لا تتغير، انظري حولك الى الصخور الغريبة، الى الأزهار الحازمة مع سنابلها، عليك أن تحبي هذه الأرض، ليس هناك من حل وسط.

ـ هل استطيع ان اسألك سنيور اذا ما كنت تعتقد نفسك

ـ ليس تماماً، لقد ولدت في اسبانيا، حيث كبرت وتعلمت. والدي تزوجوا عن طريق الاختطاف، واتوا الى المكسيك ليعيشوا في مزرعة. لم يكن زواجاً سعيداً وبعد ستة أشهر رجعت امي الى اسبانيا، الى اراضي والدي حيث انجبتني بين عشب البراري والفيران في ساحات المصارعة، وأنا تمتعت في الذهاب الى المباراة عندما كنت شاباً. وجعلت لنفسي اسماً جيداً، ولكن أمي رأت من الضروري ان يكون لي عمل أفضل، لذا دخلت سلك السياسة، عندما مات أبي في حادث، اصبحت مالك المزرعة وقد توصلت الى ان اكون حاكم المنطقة.

تأنى عليها ليجعلها تستوعب كلامه وأضاف.

ـ انني احب عملي ومركزي هنا آنسة آلن، ولا استطيع ان أضاطر من أجل فتاة حمقاء تقوم برحلة بمفردها وتدعو عينا الدرطان.

ـ عيناك . . .

ضحك الدون في طريقة هادئة وخطيرة وشعرت ثانية بدفء ذراعه.

ـ يا فتاتي سوف تصبحين خطيبتي ولسوف تتعينني اذا لم تريدي ان تكوني ودودة أيضاً.

ـ ارجو ان لا تتوقع العاطفة . . . اتمنى ان لا تتوقع مني ان اعرض قبلات وضم أمام عائلتك وأصدقائك.

قالت ذلك بجدية وأضافت.

ـ هل تعيش امك في المزرعة.

ـ اجل.

ـ سوف تتفاجأ سنيور عندما تقدم لها فتاة انكليزية على انها خطيبتك.

ـ النساء اللاتينيات، آنسة آلن، متسامحون للغاية عندما يتعلق

www.rewity.com/vb

الأمر بأولادهم وخصوصا اذا ما كانوا من الذكور.

- انت تعني... مثل أي شخص آخر، بأنها ستفترض بأنه قضينا الليلة... كعاشقين.

- يجب أن تحضري نفسك لذلك. انني ابن والدي، وهي ستقبل مع بعض الاستسلام المحب بأنني ارتكبت فضيحة وانا على الأقل احضرت الفتاة التي ستكون زوجتي.

حولت رومي رأسها قليلاً ونظرت الى عينيه، كان الشرر يتطاير منهما وشعرت برغبة في تحسس وجهه، لم يحاول الدون أن يوضح المشكلة التي وقعا فيها وكذلك لم يفكر عندما دخل الى مقصورتها في ثياب نومه الحريرية الخالصة. وقالت في نفسها بأن عنجهيته الايبيرية بحاجة الى درس وستتعلم منها بأنها احدى النساء اللواتي لن تركع تحت قدميه.

وبعد مرور مدة من الزمن بدأت تتراءى لهم مراعي الوادي... وادي الشمس، سهول متماوجة حيث المواشي تطوف هنا وهناك وتنحني لتأكل الأعشاب الطرية، الرجال المكسيكيون الذين يركبون الأحصنة ويقودون القطيع بأنفسهم وهو بثيابهم البسيطة والجميلة في آن. بدأ الرجال يحيون الدون وهم يمرون بينهم وانحرفت عيناهم باهتمام على الفتاة التي تجلس امام الحاكم. كانت اشياء لاتينية اصيلة، وكان بعضهم يعدو ببطء، بينما رومي تحس بفضولهم ثم اذعنت للرجل الذي يملك السلطة على كل واحد منهم.

- لا تخافي.

قال الدون ذلك باستهزاء وأضاف.

- باستطاعتهم ان يدركوا بأنك تنتمين اليّ. الرعاة يفضلون فتياتهم الجميلات ذوات البشرة النحاسية اللامعة.

- الا تفضل انت نفس النوع.

- انني لست راعياً... شكراً للسماء بأنني لست كذلك، لأنني لو كنت مثلهم لكنت نلت اعجابك الليلة الماضية في القطار

ان تقبل أنواع الحب، هل تعتقدين بأن الداعي يمكن له ان يقبل اذا ما فعل ذلك.

- بالتأكيد... ولكنني لو كنت الليلة الماضية مع واحدٍ منهم، اقسم هذا الصباح وفي غير هذا الموقع الذي يجبرني على الزواج... رجل لا أحبه.

- ارجو أن لا تتخيلي بأنني احبك ايضاً.

قرع لجام الحصان بينما كان يتكلم حيث كانوا يقفون على ضفة الوادي.

قم هو قرع ورحب، ضاعت الكلمات من فم رومي، كم كان الوادي جميلا وبلا حدود. كانت رومي قادرة على استنشاقها وهي على ظهر الجواد، أصابت ارتعاشة صغيرة ظهرها ثم انتقلت الى كل جسدها.

- هل انت خائفة الآن لانك هنا؟

سألها الدون ذلك وأضاف.

- شعرت بك ترتجفين وكأنك تتوقعين شيئاً ما.

- انها غرابة كل شيء.

لم تكن تريد الاعتراف بالرعشة التي أصابتها عندما وقع نظرها على وادي الشمس، ولكنها في الظاهر كانت هادئة تنظر الى الشجار الين والكاكاو الملاصقة، لأوراق اشجار الموز الكبيرة. وقوفهم لاحت السماء صافية، تعانق في ظلالها لمعان البحيرة الخلابة.

- هذا هو الجسر.

أشار الدون الى جسر قديم الطراز وأضاف.

- على الجانب الآخر من المزرعة.

- خندقك وقلعتك، اليس كذلك؟

قالت له ذلك وأضافت.

- هل هناك برج في هذه القلعة ينتظر عروسك المشمئزة.

- بالحقيقة يوجد الاتالياكي نسميه نحن، وهذا البرج هو

للمراقبة عبر السهول والبحيرة واليابسة.

- وعن ماذا تبحث، سنيور؟

- في الماضي كان هناك قطاع طرق أما اليوم فهم لم يعودوا موجودون.

- هل هناك حقاً؟

تكلمت رومي بلهجة اسبسار.

ضحك الدون بعذوبة وبعدها وخز الحصان بواسطة مهماز حيث بدأ الحصان يجري عدواً حتى وصلوا الى مشهد البحيرة والجسر، أوقف الدون ديلكادو الحصان على الجسر وعندما وصلوا الى منتصف المسافة رأت رومي عمق البحيرة والتيارات المخيفة التي يبدو انها تفرض على الشخص معرفة السباحة.

تساءلت اذا كان الدون يعرف ذلك، عندما سيكون حراً من مهامه التي حتماً ستأخذه الى الوديان العميقة والمزارع، كان ذلك عمله بلا شك، وكان من سخرية القدر أيضاً أن تتشارك الليل مع رجل واثق من نفسه، ويملك سلطة على كل من حوله.

والآن ها هم يعبرون البحيرة حيث شواطئها مملوءة بالأزهار والطحالب، واشجار البابيا انحنت على الطحالب، ورائحة الخطاف تنشر أريجها في كل مكان، كان الصمت ثقيلاً، دون أن يكون هناك صوت عصافير حتى، وفوق وقع خطوات الحصان تكسر الصمت، وها هم يدخلون المزرعة. البوابة كانت تحمل شعار العائلة... نسر مع حمامة وديعة بين مخالبه.

- اعتقد بأنك لست مندهشة من هذا الجمال.

- لقد توقعت ان أجد شيء من هذا.

- هناك اسطورة في عائلتنا تقول بأنه كان هناك نسراً التقى مع حمامة وديعة... وعند ذلك ولد الاسباني.

- مسكينة الحمامة.

وجدت رومي نفسها وهي تضحك وتقول.

- آه يا للبيضة الهائلة.

... ويقدر ان تضحكي اكثر... العينان الخضراوان لم يخلقوا

... الى جسر البوابة الكبير ذو الجدران العالية والشمس ... عبر المعابد الوثنية التي تقاوم الريح والزمن. وأشجار ... حيث كان هناك حصناً صغيراً يرتفع فوق البوابة، ... الحديدية المفتولة تقود الى أسوارها. كان البرج ...، وعلى جوانب السور زرعت أشجار الرمان الذهبية ...

... كل شيء ساكناً، الاحتراق مع حرارة الظهيرة، ورائح ... والأشجار، وبعد قليل وصلوا الى جدران حيث مكان غرف ...، صوت المياه في النافورة، ولاحت لوحة قرب أشجار ... الذبة. كان المكان اسبانياً بحتاً، وكان هناك سحراً لا ... بالنسبة لمنزل الدون، وكان هناك سحراً حتى وصولهم، رجل ... يحملان معاً على حصانٍ اسود.

... الدون يده من حولها، ونزل عن الحصان، وبينما كانت ... رأت يداه تمتدان لمساعدتها على النزول ولكنها ابت ذلك ... بمفردها، كانت عيناها الخضراوين تقاومان النظر اليه. ... من نظرته التهكمية بأنه شعر بردة فعلها بالنسبة له.

- أرجو، انسة آلن ان يروق بيتي لك، بالنسبة لمخيلتك الخية، هل تعتقدين بأنه يمكن أن يكون.

- لم يمض وقت طويل لأقول رأيي فيه. الانطباع الأول يمكن ان يكون خاطئاً، ويجب ان تعرف بأن كل هذه الأشياء جديدة علي، ولم أعرف مثلها في السابق.

- انني عازم على القيام ببعض التغييرات. آه، وجنتاك متوردتان، هل تحبين ان تتذوقي مياهنا؟ فهي تأتي من مجرى الجبال وهي منعشة جداً.

- نعم، انني عطشانة، بعد كل هذه القيادة، يبدو ان الشمس تبدو في قمة حرارتها.

www.liilas.com

- الآن وقت الظهيرة، والشمس في الأعالي.

اقترب الدون من نافورة انزولجوس، ووجد محارة بالقرب منها، فملأها وأحضرها اليها.

- ها أنت، قطة صغيرة متشردة، رطبي حلقك، وكوني صامتة في المزرعة.

أخذت المحارة وشربت الماء وشعرت بلذته تداعب شفتيها ورئتيها وقال الدون.

- احب ان اعرف لماذا تناديني، سنيور؟

سلمته المحارة الذي ملأها ثانية وشرب منها، وعندما نظر اليها كانت جفون عينيه نصف مغمضة فوق عيناه.

- انت كالقطة الجبلية الصغيرة.

قال ذلك وأضاف.

- انني اندهش كيف ستكون حالتك عندما تهربين.

- ما هذا الهذيان، هل كل الشعب الاسباني مولع في قول العبارات المبالغ فيها؟

- على عكس ذلك سنيوريتا.

استند ثانية على حافة النافورة ثم أضاف.

- هناك تصادم نظري في كل شعوب الأرض، كالهيئة والنعمة، ان اجوبتنا لبعض لها جذورها في شريعة الأدغال، البحار، وحتى الهواء، ربما انت في انكلترا تعجزين عن الاعتراف بذلك، ولكن هنا في هذا الوادي البعيد، فانك مجبرة على الإيمان بأن ما أقوله هو الحقيقة.

- هل تحذرني، سنيور من شيء ما؟ وهل تتوقع بأنني ممكن أن اتوقع سلوك فطري منك أنت؟

ومن جديد طغت عليها شخصيته اللاتينية، النارية، لم يعطها جواب على سؤالها وكان صمته مزعجاً أكثر مما كان لو تكلم وقالت رومي.

- يجب أن تكون صبوراً مع مخاوفي سنيور، فليس كل يوم

[illegible] على الزواج من غريب اجنبي.

- تعظم الفتيات اللاتينيات يتزوجون رجال غرباء... ولكن [illegible] تؤمنين بالاعتقاد الرومنطيقي الذي يقول بأن الحب [illegible] بأني قبل الزواج.

- اتمثل بأنه يساعد، اذا ما كان الشخصين يحبان بعضهما.

- الحب... يا لهذه الكلمة الصغيرة. الحب يكون عندما [illegible] الناس عن حب فستان، باقة زهور، أو صورة مثلاً، ان [illegible] حتى نطبع على بطاقات المعايدة والميلاد.

- يا لوجهة النظر السخيفة.

[illegible] رومي عنه ولم تهتم اذا كانت قد ازعجته.

- ان شخصاً ما جعلك انسانة مهمومة، اليس كذلك؟ لا أعرف [illegible] مشاعري طبيعية عندما انظر اليك، هل اخبرك الشاب الذي في الصورة بأنك تملكين شعر وعينا قطة صغيرة وحيدة.

- لا أحب أن يقال لي بأنني قطة... شكراً لك.

- وما هو شعورك وكذلك شعوري عندما يشار الي بأنني شيطان [illegible] انسة الآن، تنازلي مع الأسباني ولسوف يرد عليك بصفعة [illegible] بذلك. وسيسر جداً عندما تتحداه امرأة.

[illegible] اكثر من مصارعة الثيران.

- لا رغبة في ذلك.

- اعتقد هذا لأنني امرأة فانني غير محصنة جيداً، اليس كذلك؟

وعندما كانت تنظر اليه اصبحت متيقظة لشعور حب الاستطلاع في اعماق قميصه المفتوح حيث لمعت قلادة ذهبية من تحت شعر صدره الأسود الداكن. هل شعر ذلك الجسد القوي بالطعنات القاسية للثور الهائج؟ هل يخفي ذلك الجسد الذهبي جروح عميقة فيه، بضع اسئلة هربت من دون أجوبتها... ليس ذلك لأنها تهتم اذا ما اصيب أم لا، ولكن من الصعب تصوره تحت [illegible] اي شيء.

قال ذلك وهو يقرأ عينيها وأضاف.

- لقد ابتليت بثور شجاع، انني مسرور ان أقول، وسوف تسرين حين تسمعين بأنه يؤذي كعذاب نيران جهنم.

- انت لست صاحب قلب قاسي يا سنيور، ولكن في اليد الثانية يجب أن تعترف بأنها رياضة خطرة.

- ولكنها صورة اخضاع، وبالنسبة للمرأة كل انواع الاخضاع هو شيء خطر، حتى لامرأة على طريق الزواج، وستعرف ذلك الشعور العميق بأنها ستكون الخاسرة. وبالنسبة لقلبينا فنحن سنبقى آدم وحواء.

- وأنا افترض بأن كل ذلك هو جنة عدن بالنسبة لك...

قالت رومي ذلك وأضافت وهي تنظر حولها.

- لم الاحظ اية شجرة تفاح عندك، وهكذا فانني أمل ان اكون سليمة من الاغراء.

- الشعب اللاتيني يؤمن بأن حواء أعطت آدم برتقالة وليس تفاحة، زهرة الليمون هي الزهرة التقليدية لعروس يوم عرسها. وفواكه الليمون الذ واطعم من فواكه التفاح.

- ولكن انت لا تؤمن بأن الحب لذيذ، سنيور.

كانت ابتسامته بطيئة وشريرة وقال.

- انه كالشعلة التي تحرق بقوة.

- أنا سمعت بأن الشعب اللاتيني يملك رغبة في الاستشهاد موتاً، الشعب الانكليزي يفضل الراحة واللطف، انا انكليزية متعصبة لبلدي، اكده اسمي، لقد قالت لي جدتي ذات يوم بأن والدتي أخذت اسمي من رواية قرأتها.

- روميلا.

قالها بتذمر وأضاف.

- يجب أن تتعلمي التعود على عاداتنا.

- وكم من الوقت يجب علينا أن نستمر في هذا التنكر، دون ديلكادو؟

وقف الدون هناك ينظر اليها ويضرب الوقت بسوطه، شعرت رومي بقلبها يضرب مع ذلك السوط. ما هو شعور الفتاة تجاه رجل مثل الدون كهذا الرجل، الذي واجه الحوافر والقرون في مزارع الثيران.

- بالطبع ليس اكثر من أسبوع.

قررت القليلات منها من جراء الصمت الذي أحدثه.

- يجب أن أعود الى انكلترا، الى عملي ودروسي، لا استطيع ان ابقى هنا في المكسيك الى ما لا نهاية، وضعي المالي لا يسمح لي بذلك.

- بينما نبقى هنا في المزرعة، فلست مضطرة ان تقلقي بسبب المال، اخبريني هل عملك في انكلترا مثير جداً، وهل عائلتك وعائلك مهمة؟

- انا أحب عملي، وأنا أعيش بعيداً عن البيت في مكان لطيف.

- وما هو بيت الطلبة، وهل هو كما يقال عنه غرفة صغيرة مع سرير وكرسي وطاولة صغيرة.

- ليس هنالك من داعي ان تكون متعاطف لأنك تملك قصر فيه مع غرف لا تحصى في داخله...

قالت رومي ذلك بعنف وأضافت.

- انك مخطوط سنيور، ولكن انا سعيدة جداً في تلك الغرفة الصغيرة، انا اسعد هناك من... على أي حال، هذه شؤوني، الترتيب الذي اتفقنا عليه لا يسمح لك بالتدخل في حياتي الخاصة.

- فقط اخبريني شيء واحد، هل مستقبلك يشمل الشاب الذي يظهر في الصورة التي تحملينها.

كانت رومي مستعدة لكذبة ثانية بيضاء ولكنها عدلت عن ذلك وقالت.

- الصورة اخذت قبل ان يتزوج ابنة عمتي سنيور، كان صديقاً

www.rewity.com/vb

لا أكثر.

ـ اذاً هناك اهتمام قليل يجعلك تودين العودة الى بلدك.

ـ هناك عملي

ارادت رومي ان تصارع ذلك الشعور بأنها تحت رحمة هـ
الرجل القاسي وأضافت.

ـ اذا لم أعد الى المتحف عندما تنتهي أجازتي فسأخ
العمل.

ـ هناك متاحف كثيرة في المكسيك.

تكلم الدون ببطء حيث كأن قضية بقاءها هنا معه متفق عل
بينه وبين نفسه.

ـ ان لي نفوذ كبير واستطيع دائماً ان ادبر لك عمل ضمن أ
الماضي اذا كان ذلك ما تريدين.

ـ أرجو ان تتذكر دون ديلكادو، انك لست خطيبي الحقي
ولست مجبرة على ان اتلقى الأوامر منك. انا لست مجبرة ح
على المضي في هذه المسرحية.

ـ الست كذلك.

تحرك الدون بعيداً عن نافورة المياه وأضاف.

ـ كيف تعتقدين بأنك ستبتعدين عن الوادي، وانت هنا الآ
هل تعتقدين بأنه ممكن ان يخاطر أي شخص ويغضبني ويأخذ
بعيداً، هنا مني وادي الشمس نحن بعيدون أميال كثيرة ع
حضارة المدينة، هل تعتقدين حقاً بأني سأعرف بك على ان
خطيبتي فقط، بالطبع انت تعرفينني اقل من ذلك.

ـ نعم، انا أعرفك.. انك مستبد ظالم، قلت قبلاً انني
احبك، الآن بدأت اكرهك.

ـ آه، الآن حقاً بدأنا نعرف بعضنا.

وبحركة ماهرة من يديه قربها من صدره وعيناه تنظران ا
عينيها الخضراوين وقال.

ـ ليس هناك رجل متأكد من حب المرأة اذا ما كان حقيقي

لا أ... ني اراني وأقول له بأنها تكرهه انت تعتقدين لا مبالاة النساء
... لا يطاق.

... انت لا تطاق.

ارادت رومي ضرب صدره بيدها المحررة وبعدها توقفت
... وبعدها عندما شعرت بجلده الدافىء الذهبي، الصلب.

... لو لم آتي الى المكسيك في حياتي... عندما التقيتك
... عظامي الى جحيم.

... اجازتك لم تنته بعد وأي شيء ممكن أن
... في المستقبل، سوف تكبرين وتحبين أن تعيشي هنا في
... الشمس.

www.rewity.com/vb

الفصل الخامس

- ديلكادو، حبيبي!

كان الصوت عميقاً وجميلاً، وأطلقت رومي فجأة حين د
الدون وذهب بخطى واسعة عبر المساحة القصيرة حيث صو
رقيقة ظهرت على مدخل القصر.

- أمي، ها أنا هنا ثانية...

حضنها الدون وبعدها قبلها على وجنتيها الاثنتين، كان وج
المرأة مملوءاً بالحب لهذا الانسان، واليدان المملوءتين بالخواتم
الرائعة بدأت تتحسس وجهه، تعانق وجنتيه ولمعت الدموع في
عينيها الجميلتين.

- ولدي، كم من الجميل أن أراك ثانية، كنت أعد الساعات
لكي تصل، عندما حمل أحد الرجال الهنود الأخبار عن القطار
كنت قلقة جداً، هل تأذيت... لا، استطيع، ارى انك تجيد
ديلكادو.

اتجهت العينان السوداوين الى حيث تقف رومي وقالت.

- أرى بأنك احضرت زائرة، يجب ان تقدمني اليها.

شعرت رومي بضربات قلبها بينما كان الدون ووالدته يعبرون
الممشى المرصوف بالحجارة حيث تقف رومي قرب نافور

[illegible] رقيقة مرائية لتعرف على انها الزوجة المقبلة لرجل
[illegible]
[illegible]
[illegible] الآن امام رومي بطوله وجاذبيته ويقول.
[illegible] ان تعرفي على رومولا آلن، التي التقيتها في مكسيكو
[illegible] والتي قبلت ان تكون زوجتي.
[illegible] الدون يد رومي وضغط عليها وقال.
[illegible] أريدك ان تقابلي أمي الحبيبة الدونا دو لوريس.
[illegible] رومي لحظة كهذه في حياتها كلها. عندما كان عليها
[illegible] وقال الدون ديلكادو هو الرجل الوحيد في هذا العالم،
[illegible] ذلك، وهي تبدو كامرأة رائعة الجمال حيث برز لون
[illegible] الأسود
[illegible] سعيدة بمقابلتك والتعرف اليك.

قالت رومي ذلك ومع كل عصب من جسدها كانت متيقظة
[illegible] الرقيقة التي تأسر اصابعها، ووجه امه يتفحص وجهها
[illegible] الرقيقة التي قالت.

[illegible] سمعتك بطريقة واضحة يا عزيزي.

- رومولا وانا سافرنا مع بعض في القطار يا امي. وهي وافقت
[illegible] زوجي.

- عاهدتم بعضكم على ذلك؟.

رفعت الدونا دو لوريس ابنها بحدة ثم اضافت.

- واكثر ماذا عن كارمنشيتا، انها هنا في المزرعة.. لقد
[illegible] من رسائلي بأنها ستكون هنا، وكل شخص اعتقد...

[illegible] اصابعه على رومي و نظر باتجاهها قرأت نظرته الشامخة
[illegible]

- انا اعتذر عن قناعة عندما يتعلق الامر باختيار الزوجة، واذا لم
[illegible] شيئاً جيداً لرومولا فستشعر بأنها غير مرغوبة هنا، وهي
[illegible] يا امي وهي حساسة للغاية. بالطبع انت على الرحب.

ابتسمت الدونا دولوريس بشفتيها ولكن عينيها اظهرت عدم الترحيب بترتيب ابنها باحضار فتاة غريبة.

لقد كانت حتماً جميلة عندما كانت شابة حيث جمالها لاتينيا اصيلاً، والآن وهي في منتصف العمر كانت تشبه راهبة جميلة بعفتها، مع زهرة انيقة على السلسلة التي ثبتت على عنق فستانها الرمادي الحريري، شعرها الاسود تتخلله خصلات فضية والذي كان معقوداً وراء عنقها.

ابرزت خواتمها جمال يديها، وكان هناك كبرياء في مشيتها وطريقتها في رفع رأسها. نعم لقد كانت خلابة، كان لها نفس نظرة التمدن والانعزالية، وبدأت رومي تفهم لماذا كان الدون مصراً على عدم وجود فضيحة ترتبط بأسمه.

- اذاً يا ولدي، لقد رجعت من السفارة واحضرت فتاة انكليزية فاتنة، سامحني، اذا بدوت غير مرحبة، لم تعلمني بشيء في رسائلك لي يا كادو.

- قرارنا كان فجائياً يا امي، ربما ستقولين بأن شعورنا تملكنا بسرعة ووجدنا انفسنا مخطوبين.

حدقت الدونا دولوريس بأمعان في وجه رومي وقالت.

- عزيزتي، ربما التقيته في السفارة حيث تعملين هناك.

- لا... انا كنت اتجول والتقينا في مكسيكو سيتي خلال هزة ارضية، اخذني الدون تحت قناطر أحدى الابنية، لم اشعر أبداً بما يدور. ولم اعرف ماذا افعل.

- اذا... سائحة، اتحبين المكسيك؟.

- نعم... بطريقة محيرة.

- مثلك... مثل ولدي، ايه؟.

ارتسمت ابتسامة رقيقة في العينين السوداوين للحظات قليلة وقالت.

- لا بد ان كل اعصابك توترت عندما حصل الحادث للقطار.

- كان الدون ديلكادو معي...

- اذاً ستتزوج قريباً جداً يا كادو، هنا في كنيسة العائلة ربما.

- سنفكر بذلك.

اجاب الدون ممسكاً بيد رومي.

- والآن يا امي، اعتقد بأن رومي تحب ان تأخذ قليلاً من الراحة والانتعاش، بينما تحضر لها الغرفة. حقائبنا في القطار وسأعلم احد رجالي بأن يذهب ويجمعهم.

- لوكوتو كويراس ديلكادو. نعم ربما تحبين أن تأخذي قسطاً من الراحة والانتعاش اشارت الدونا إلى الطاولة المستديرة والكراسي تحت نباتات الكاسيا الجميلة.

- ذلك المكان بارد، ربما تأخذين مقعداً، بينما اجد انا الطباخة لتصنع لنا ابريقاً من الشراب.

- نعم، سأخذ مقعداً.

قاد الدون رومي إلى احد المقاعد وقال.

- سأذهب مع امي اذا سمحت، لاقنعها بخطوبتنا.

- ولكن اليس من الافضل ان نعلمها بالحقيقة.

- انت انكليزية، والمرأة اللاتينية تعيش فقط لتهتم بأولادها وبيتها ولا تعرض عائلتها ابداً للعار، ربما هذا لا يناسبك يا رومولا، وانا لا استطيع ان لا اهتم بما حصل تلك الليلة في القطار، يجب ان يعرف كل شخص بأنني اردت الزواج منك حقاً.

- امك لا تريد ذلك... لقد اظهرت ذلك بوضوح.

- لقد كانت مأخوذة بالمفاجأة.

- ومن هي كارمنشيتا؟.

- هل تهتمين بمعرفة هويتها؟.

رفع احد حاجبيه بينما كان يكلمها واضاف.

- هل انت غيورة قليلاً.

- انا بعيدة عن الغيرة سنيور، انا اعتقد بأنه من العار ان لا يعرف الجميع، ولا بد انها هي وامك سوف يحتقرون هذا الذي

www.rewity.com/vb

نفعله.

- انني اعرف كارمنشيتا منذ كانت طفلة، كانت كابنة العم وامي كجميع الامهات تفضل ان يتزوج ولدها ملاك تعرفه بدلاً من غريبة ممكن ان تكون غير صالحة.

- وهل تعتقد بأن امك تعتقدني غير صالحة، سنيور.

- محتمل جداً. اذا ما كانت ترفض ان تعتبرني شيطاناً.

قطع الدون غصناً من شجرة الكاسيا من وراء شعر رومي و يدرسه بامعان.

- اذهب بعيداً.

قالت رومي بتوسل واضافت.

- لقد تحملتك كفاية، واريد قليلاً من السلام لمدة قصيرة اذهب الى امك واكدّ لها بأنني سأحاول ان لا اكون مضجرة.

- عزيزتي، انها تتوقع ان تكون ضجرة من الفتاة التي اقترح انا ان ارتبط معها، وسوف تقتنع بعد الليلة الماضية بأن الزو يجب أن يأخذ مكانه بالسرعة الممكنة، فكوني على حذر.

- انت فعلاً وضعتني في الأماكن الأكثر خطورة.

اشتمت رومي رائحة الأكاسيا التي بين يديه وقالت.

- وأرجو منك ان لا تغازلني ثانية.

- عندما ابدأ المغازلة معك، فانك سوف تدركينها جيداً.

اشتعل بريق صغير في عينيه، وتخللت لهجة تهديد نبرة صو وأضاف.

- من الأفضل لك ان تكوني حريصة على عدم اثارة الرجل الاسباني، خاصة الرجل الموجود في عيون الآخرين سوى الرج الخاص بك، امي لن تتعجب اذا ما رأتني اعاقب زوجة المستق وسوف لن يساعدك احدهم.

- انا أكيدة انك تستطيع ان تكون قاسي القلب... والطريق التي احضرتني بها إلى هنا هي أكبر دليل على ذلك.

- تعالي عزيزتي.

قالها في سخرية وأضاف.

- أنا لم احضرك تماماً، انني اكيد من انك استمتعت ببعض لحظات القيادة مثلما استمتعت بها انا أيضاً.

تحدثه بنظرة عينيها الخضراوين ن ون بأنها تمتعت بانتمائها اليه خلال القيادة.

- لماذا، عندما وصلنا الى الوادي ورأيت البحيرة لأول مرة، هل كان بمقدورك تمكين انفاسك او ربما شعرت بذلك، شعرت بانجذابك الى جمال الأراضي والسهول أكثر من انجذابك الي، هل تستطيعي ان تنكري ذلك.

اراد ان تنكر انجذابها الى كل ما حولها الكائن في جمال بقعة الوادي. ولكن نظرته كانت نافذة جداً، قرأ عينيها ورأى بأنها كانت اسيرة بكل ذلك الشعر الاسباني في الحجارة، ازهار الربيع الندية، والشمس الضاربة بلون القرميد، قرميد البيوت البعيدة، قفز قلبها واسرعت نبضاتها عندما نظرت للقصر الذهبي الذي جدرانه تستوعب مكان جميل والتي تدل على لمعان شمس الظهور الغابرة. الأسوار الحديدية المزخرفة بالتأكيد اتت من الحدادين القدامى الذين بنوا القلاع منذ مئات السنين. مستنقعاتها تبدو مظللة تعانق صدى الصحراء التي تبدو عميقة في اقرادوز، بقعة النواقد حيث تبلات الزهور المعلقة بها. والسمالي وهي تحاول الاختباء بين الجدران ولا يبدو منها سوى لمعان جلدها الفضي.

- هذا المكان بالنسبة لي هو نفس الحياة الأفضل.

وقف الدون طويلاً بجانب الكرسي التي تجلس رومي عليه، وقد بدت صورته حيوية في ثياب القيادة وقال.

- لقد بني هذا القصر وزرعت اراضيه وكأنها قطعة من اسبانيا بها... في نور الغسق عندما تقرع اجراس الكنيسة الصغيرة، ترتفع رائحة الكروم، هناك في الخارج في الظلام، كل هذا بالنسبة لي يتمثل في اسبانيا، لقد ولدت على التراب الاسباني

www.rewity.com/vb

سنيوريتا، وجذوري تفتت عندما قدمت إلى هنا للمرة الاولى. سوف تشعرين بالغرابة والوحشة لمدة من الزمن، ولكن مع الوقت...

- تتكلم وكأنني اتيت لابقى، سنيور.

- هل تعتقدين ذلك؟.

كانت النظرة التي وجهها اليها محيرة، وكانت جفون عينيه مغمضة نصف اغماضة وبعد ذلك انحنى امامها انحناءة قصيرة والتي ذكرتها بأساليب الحكام القديمة. راقبته يترك المكان بخطوات واسعة.

جلست ساكنة، حتى وقعت احدى البتلات من فوق يدها، وجعلتها تخرج من تأملاتها، عرفت الآن لماذا لازمها وجهه من مكسيكو سيتي حتى وبعدما اصبح لديها شعور بأنهما سيلتقيان ثانية. ومن اللحظة التي رأته فيها في القطار.

ولا حتى جدتها كان باستطاعتها ان تخمن بأن ميراثها قاد رومي الى ادغال المكسيك، الى تمثيل دور كرهته عندما عرفت الدونا دولوريس. التي تعبر الآن الساحة وهي تحمل صينية وضعتها على طاولة صغيرة وبعدما جلست بمواجهة رومي.

صبت السائل في اكواب طويلة مع قطع الثلج البيضاء، وكشفت عن صحن صغير مملوء بالحلويات الطازجة.

كانت عيناها تقيسان الفتاة التي أحضرها ابنها معه. بشعرها الأحمر الذهبي وعيناها الخضراوين وقالت.

- يجب أن تسامحيني سنيوريتا آلن، اذا قلت بأنني اعتقد بأن ولدي وقع في فخ الوجه الخارق. لا أريد ان العب دور الأم الغير مهتمة. ولكنني اعتقدت واملت دائماً ان يتزوج ديلكادو امرأة من شعبه وأرضه، فتاة لاتينية خلقت لتفهم الرجل اللاتيني.

- وهل الرجال اللاتينيين مختلفين عن غيرهم من الرجال.

كان كل عضب في جسد رومي يرتجف داخلياً ولكنها اجبرت نفسها على ان تتحلى بالهدوء.

وترتشف الشراب الغريب وكأن رائحته كالنبيذ الممزوج مع عض التوابل وقالت الدونا.

- بامكانهم ان يكونوا اكثر تساؤلاً، عديمي الشفقة وعاطفيون اكثر من الرجال الآخرين، ويستطيعوا ان يكونوا حذرين ومتكهنين بالاخطار اكثر التي تتربص بهم. ولن تكوني انت أول فتاة شابة وقع ضحية سحر الفرادور، وليس هنا من امرأة استطاعت ان تحكم اكثر منهم لذلك فانني اعتقد ان النساء الانكليزيات يحبون ان يرضوا انفسهم.

- انني أرضي نفسي سنيورا، ومصممة على ان أفعل ما أريده.

- حتى عندما تصبحين زوجة ابني.

- لسنا كذلك بعد... متزوجين سنيورا فقط مرتبطين.

- طفلتي، يجب أن تعرفي بأنك جاهزة تماماً للزواج. كادو خبرني سابقاً، وأنا احضرت الشراب وأنت وهو كنتم معاً الليلة الماضية. لقد كان معك في المقصورة المقفلة حيث كان الهنود يحاولون فتح الباب. قال بأن الرجال قد شاهدوك وهو يعرف بأنه تحت تعهد وهو أن يجعلك زوجته.

- اسامحيك عذراً سنيورا، ولكن لم يكن هناك تعهد مشترك.

- سنيوريتا، الم يخبرك ابني بأنه منذ اللحظة التي اعلنك فيها خطيبته، اصبح الشعب في اقليمه يتوقعون ان يقام الزواج قريباً. انه ليس حاكماً هنا فقط، ربما اننا عائلة فهذا يعني اننا تقليديون جداً. لا استطيع ان أصدق بأنك لا تتزوجين من رجل لديه كل الاسباب التي تجعله يصدق بأنه قريباً سيرتفع الى منصب سفير. كيف يمكن لأي فتاة أن تكون زوجة للسفير؟.

طفى احمرار بسيط على وجنتي رومي وقالت.

- مهما كان الذي تصدقينه سنيورا. فأنا بريئة من اغراء ابنك في دعوته الى مقصورتي لقد دخل خطأ...

- غلطة محظوظة لك سنيوريتا آلن، ارجوك ان تنهي شرابك قطعة الحلوى خاصتك، وسأرسل خادمة لترشدك الى غرفتك.

مشت السنيورا بعيداً، تاركة رومي على حافة الانهيار. اذاً ذلك ما سيفكر به كل شخص. بأنها أرادت ان تغري الدون لأنه كان رجلاً ذا مكان مرموق جداً، هذا شيء لا يطاق، وبطريقة او بأخرى عليها ان تهرب من هذا المكان الساحر.

قفزت على قدميها ونظرت الى الطريق التي تؤدي الى الخارج، كانت كئيبة جداً من هذا الوضع، لقد أرادت شيئاً واحداً فقط وهو ان تهرب من هذا المكان قبل أن ترى الدون ديلكادو ثانية. ربما باستطاعة احد ان يساعدها، لديها المال في محفظتها، لم تستطع ان تصدق بأن احداً منهم ممكن ان يرفض طلبها بالهرب خوفاً من الحاكم... رأت الرعاة الذين كلمها عنهم الدون... في الحقيقة يبدون مخلصين لسيدهم. والدون استمتع عندما أخبرها بأنه لو كان واحداً منهم في الليلة الماضية لكانت في وضع صعب جداً.

هذه الفكرة جعلتها تسرع الخطى لتهرب خارج المزرعة. ذلك مستحيل، لن تستطيع ان تطلب من احد هؤلاء الرعاة ان يساعدها في الهروب الى اكزريكا. جالت بنظرها حول المكان وقلبها يخفق بشدة. عربة مغبرة كانت تقف بقرب الجدار العالي وتبدو عليها بصمات الزمن، والخط ممكن ان يجعلها تدور، كل ذلك يرجع للحظ.

وألقت نظرة عليها من الداخل ووجدت المفتاح في مكانه فصعدت، بدأت بتفحص الآلة، يجب عليها أن تعود الى الطريق الخارجية، ربما يوجد خريطة بامكانها النظر اليها فيما بعد. ولكنها الآن عازمة ان تضع عدة أميال كمسافة بينها وبين الدون ديلكادو..

هبط مقياس الوقود فجأة وسارت العربة بضع ياردات فقط ثم توقفت في منتصف الطريق حيث الهدوء شامل، ولا يوجد غير طيران يحلقان في سماء الوادي الصافية.

جلست رومي وقد انهكها التعب وما زالت يديها تحتضنان مقود

العربة، ولم يكن هناك أي خريطة في علبة السيارة وللحظات الاولى الحقيقة بأنها ضاعت وبخوف راقبت سهم الوقود وحاولت ان تؤمن بأنها ممكن أن تصبح على الطريق الرئيسية في أية لحظة.

تحطمت امالها. كانت الشمس تميل نحو الغروب، ودفء اليوم غاب مع قدوم الليل، وهي تائهة في البراري، كانت بعيدة جداً عن الذهاب مع احدى الصديقات الى البندقية. لا... لقد أرادت ان تظهر للاتس وايريس بأن لها حريتها وقلبها معها. وها هي هنا بعيدة عن الحضارة ولا شيء دافيء معها لتشربه مع الفجر... لقد قرر الدون أن تبقى معه بدلاً من البقاء مع بقية المسافرين، كل شيء كان خطأه، وبسببه هي هنا، روموالا آلن انكليزية عانس في العشرين محظوظة اذا ما وجدت كومة عظام على الطريق لتقودها الى وجهتها.

أدارت الراديو فانبعثت الموسيقى الكلاسيكية المكسيكية، ارتعشت رومي وقررت بأنه من الأفضل القاء نظرة لترى اذا ما كان هناك اي غطاء ليقيها برد الليل. خرجت من العربة ومشت في الطريق المظلمة وقد تحولت السماء الى السواد لم يعد هناك أي وجود للشمس. ولا مرة تركت وحيدة في حياتها، واعترفت بأنها كانت مجنونة عندما قررت قيادة العربة، فقط لو فكرت قليلاً لكان بامكانها طلب المساعدة من الكابتن جاقيد عندما وصل الى المزرعة. تنهدت رومي وأخبرت نفسها بأن الندم لن يبقيها دافئة خلال الليل وفتحت باب العربة ودخلت وبحثت عن غطاء، استلقت وبدأت تصغي الى صفير الهواء الليلي وتراقب من خلال النافذة القمر الواسع وقد مال لونه الى الأزرق الرمادي، القمر هذه الليلة لديه جميع الأسباب لكي يكون داكناً في نظرها. ضائعة كما هي الآن، جائعة، تموت برداً، وعصبية من الكائنات التي تعبد الليل بالقرب من العربة القديمة.

مرت ساعة وروميو تحاول جاهدة أن تنام ومددت قدميها جيداً ولفت يديها الى صدرها لتبعث بهما الدفء. من يستطيع أن يصدق بأن هذا النهار ممكن ان يتحول الى ليل قارس من شدة البرد، شعرت بأنها يائسة حتى على سقوط الدموع، وتعجبت وهي في حالة اليأس بالشيء الذي يمكن أن يقوم به الدون ديلكادو عندما يعرف بأنها هربت، وكانت تعرف بأنها ستكون مع طلوع الفجر خطية الدون الرسمية ولم يكن ليجعلها تفر منه أبداً، هل يا ترى سيذهب للبحث عنها.

وبصعوبة وضعت رأسها على ظهر المقعد ومددت قدميها، الليل سوف يمر بسرعة اكثر لو انها تتمكن من النوم، وفي الصباح في ضوء النهار لن تكون خائفة على عبور هذه الحقول المحيطة بها للبحث عن أي مسكن تراه، لابد انه يوجد اشخاص في مكان ما هنا. وبيوت مخفية بين هذه الحقول. لابد انها عندما وصلت الى المزرعة لم يكن لديها الوقت لمعرفة امكنة هذه البيوت.

اغلقت عينيها وصلت من أجل ان تنام، وأخيراً جاءها النوم، وفي كل لحظة من لحظات نومها كانت تسمع حوافر حصان وهي تضرب الأرض، وأصوات منخفضة لم تستطع ان تلتقطها وشعرت بأن يدين تلفانها، تحملانها وأحست كأنها في أرجوحة دافئة تروح وتجيء بها. وأحست بأن الوسادة التي تلقي عليها رأسها اعطتها الدفء والأمان اكثر من أي شيء آخر في هذا العالم. لحظات من عمق النوم تبدو لها كساعات واستيقظت روميو فجأة لتجد نفسها بعيدة عن العربة الباردة، عربة فخمة، مريحة وهي محاطة بنعومة ملائكية بغطاء من الحرير الأصفر. وذراعان تبعثان الدفء في جسدها، ورأسها يستريح ثانية على الصدر القوي.

ـ أوه.

تفرست عالياً في الاشعاع المنبعث من السقف ورأت ملامح انسان، ملامح فكه، عينان حفظتهما، وحاجبان شيطانيان فوق تلك العيون.

ـ انت سيدي.

ـ نعم سنيوريتا، ومن غيري، لقد مللت من البحث عن هاربة ٢٨ رجالي الذين بحثوا معي، اعتقدوني بغباوة غارق في حبك، فط انت وأنا نعرف حقيقة ذلك، اليس كذلك، لقد عقدنا اتفاقاً، أرى ان ألتزمي به، سوف تبقين في المزرعة حتى أقول بأن لك حرية الذهاب.

ـ أنا... انا كان علي ان اعرف بأنني لن استطيع الهروب من ... من شيطان.

كان عليها في الحقيقة ان تكون ممتنة له لأنه وجدها، وجعلها تشعر بأنها دافئة وحية من جديد، ولكن هل يجب عليه ان يتكلم بصراحة، أيجب عليه ان يجعلها تشعر بأنه لا يريد سوى زوجة ظاهر فقط.

ـ اية اسطورة، اخبرتها لراعياك، بانني ذهبت في نزهة واضعت رشدي.

ـ أخبرتهم شيء من هذا القبيل، هم ذو دم اسباني، ويعرفون ان الفتيات تصبحن عصبيات ويتصرفون بغير تعقل وهم على عتبة الزواج، انهم يعرفون بأنك انكليزية وغير معتادة ان يكون لك عشيق.

ـ سوف تكون سعيداً بأن تجعلني اخضع لكل رغبة من رغباتك، اليس كذلك، سنيور؟

حاولت ان تكون غير مبالية وهي بين ذراعيه استرخت بتوتر ملحوظ.

ـ انه ليس الهرب منك الذي حملني على الهروب، ولكنه لوم نفسي، هي تعتقد انني اغريتك لأنني أريد أن أصبح زوجة السفير، لم افكر من هذا القبيل سيجعلني مقطوعة الأنفاس وأنا سعيدة فقط لأن ارتباطنا هو تمثيلية وليس أكثر من ذلك.

ـ تمثيلية!

اسرتها عيناه ببطء، عينان براقتان مما جعلتاها تتذكر احداث

ليلة أمس، لحظات الرعب هذه في سريرها عندما أصبح وجهه على مقربة من وجهها، وشفتاه على وشك الالتحام بشفتيها، مما جعلها تشعر بالاغماء لمجرد التفكير بشفاه هذا الحاكم تلتقي بشفاهها الرقيقة.

وفجأة، اصبحت العربة فوق الجسر وراحت تهتز وشعرت رومي بقبضة ذراع الدون مثل قبضة القضاء والقدر.

ـ سوف تقسمين لي بالعودة.

قال بنبرة فولاذية في صوته، والشرر في عينيه وأضاف.

ـ سوف لن تهربي مني ثانية... ممكن ان تكون هذه البلاد خطرة، وفي المرة الثانية ربما تقعين في يدين أقل صبراً من يدي. سواء أدركت ذلك أم لا، فأنت أجمل مخلوقة شابة، يمامة صغيرة برية، بحيث انني لا أحب ان أرى طهارتها تسفك، هل تفهمين يا عزيزتي؟

ـ نعم.

قالت بصوت خافت وأضافت.

ـ انت صريح جداً، سنيور.

ـ انت خائفة ووحيدة.

ـ انها البرودة التي أجدها لا تحتمل... كيف يمكن أن يكون الطقس دافئاً في النهار وبارداً جداً خلال الليل؟

ارتعشت من ذكرى تلك الساعات الباردة، بينما كانت العربة تعبر القنطرة وتخترق شعار النسر واليمامة، ومن خلالها فكرت رومي كم انه غريب... عندما تكلم عن طهارتها هل كان هو يريد الاستحواذ عليها؟ طيور اليمام كانت بيضاء طاهرة، ومع ذلك كانت أيضاً طيور عاشقة، ولهانة.. هل يفكر بها الدون ديلكادو بهذه الطريقة كانت ذراعيه حولها عندما كان يوقف العربة في ساحة القصر حيث المصابيح تسلط اضوائها على النافورة والنوافذ على طول الشرفات.

فجأة لم تعد رومي قادرة على احتمال كلماته، اغلقت عينيها

وتظاهرت بالانهاك بينما الدون يترجل من العربة، وصل اليها وحملها الى داخل البيت، اصدر حذائه العالي صوتاً على أرض القاعة، ومشى بخطى واسعة الى الأدراج، لم تكن الدراجات منحدرة، وفي الحال توقف امام احد الأبواب... نظرت رومي اليه من تحت جفونها النسر الاسباني احضر الى قصره يمامة انكليزية وأجلسها فوق سرير ناعم في غرفة التي عبقت بالملايات العابقة برائحة الخزامى، ورائحة شمع العسل والزيت كما البخور يحترق في المصابيح الموزعة على كل جانب من السرير الواسع.

فتحت رومي عينيها وقالت.

ـ تصبح على خير سنيور، سأكون بخير الآن.

ـ اليس هناك من شيء تريدينه؟

تكلم بصوت بطيء، وكأنه قرأ افكارها في عينيها الناعستين.

ـ فقط شيء واحد، احب ان اتناول فنجان من القهوة، اذا لم يكن هناك من ازعاج في هذا الوقت من الليل.

ـ سوف تحصلين عليه في أقل من عشر دقائق.

كانت ابتسامته ماكرة، كما نظرته اليها، وبعد ذلك انسحب من غرفة النوم بعد ان قدم لها تلك الانحناءة الوجيزة التي كانت مزيج من المجاملة والاستهزاء، واغلق الباب وراءه.

استرخت رومي ببطء وراقبت فراشة الصقت جناحيها فوق زجاجة المصباح على الجانب الشمالي للسرير الأسباني الرقيق. كان ظل الفراشة كبيراً من جراء تأثير بكرة الموت والذي ارتسم على الجدار الناصع للغرفة، انها تبدو غالباً مثل طائر... يمامة وربما.

www.rewity.com

الفصل السادس

بالرغم من مغامرتها، نامت رومي بعمق واستيقظت على فيض كبير ومتألق من نور الشمس مما جعلها تدرك بأن الصباح اصبح متقدماً. شعرت رومي بالذنب وبعد ذلك تذكرت انها من المفروض ان تكون خطيبة الدون وممكن لها ان تتكاسل وتأخذ راحتها إلى الحد الذي تريده.

جلست في السرير الواسع الذي جعلها تشعر بمدى صغرها وللمرة الاولى لاحظت غرفتها كان لون الجدران بلون الشمس مع شعاع من اللون العسلي، ونقوش ذهبية ملاصقة للجدران وخاصة الجدار المواجه لسريرها، وكان هناك تحف من الفضة والمحار على طاولة الزينة الواسعة.

وكان هناك أيضاً خزائن لتعليق الملابس، كانت الارض مفروشة بنفس لون السقف الباحت حيث احتل بساط من لون الكريم الارض، وكانت ازهار الخبازي الحمراء اللون مكومة على مكان واسع من النافذة الكبيرة.

اقتحمت احداث الليلة الماضية افكار رومي، حيث لامست رومي حافة الملاءة المخرمة بالدانتيل، ومع ضوء الصباح رأت غطاء السرير الواسع الغني بالحرير القرمزي اللون.

لم تعرف اذا ما كان هذا الوضع يجعلها تبتسم ام لا، هي رومي آلن، كانت دائماً الشخص الغريب في بيت عمتها. نامت في سرير ذهبي وقرمذي والذي ربما نامت عليه احدى ملكات الاسبان منذ زمن طويل، كانت شخصية الدون اشارة لعمر وفخر هذه العائلة حيث جذورها متحدرة من الروح الاسبانية. وتاريخها يعود لامجاد الماضي والصراعات، لا عجب انه كان سيد نفسه، رجل طموح ان يرتقي قمة المجد ويصبح سفيراً.

تركت رومي سريرها وشعرت بدغدغة البساط الحريري حيث مشت نحو النافذة، التي كانت تطل على شرفات والتي جعلتها تشعر بأنها في قفص للطيور الكبيرة. وعندما خطت نحوها. بدت كأنها ستقف على الحافة لأن هذا المكان يبدو وكأن له تأثير مزدوج على مخيلتها وشعرت ثانية بأنها يمامة اسيرة.

ارتسمت ابتسامة فوق شفتيها وانحنت على الشرفة حيث سمعت طقطقة لحوافر حصان والذي ظهر والفارس يمتطيه.

وبعد ذلك، وكعادة الفارس، احس بأنذار فرفع رأسه عالياً ورأى رومي قبل ان تهرب باتجاه غرفتها. جعلتها عيناه البراقتان تقف مكانها ساكنة لا تقوى على الحراك، وكان لمعان شعرها مشابهاً للمعان وبر الحصان الذي يجلس عليه، وابرز الحرير الابيض في لباسه لون بشرته الذهبية، رفع الدون سوطه وحيّاها. . . كالفارس الذي يبارز منافسه من اجل امرأة.

ـ صباح الخير.

قالها بصوته ذو اللكنة اللاتينية واضاف.

ـ ارجو ان تكوني قد نمت جيداً، ولم تحلمي بأنك ما زلت خائفة وسط الادغال.

ـ نعم نمت جيداً، سنيور.

كانت مدركة لرؤيته لها ترتدي ثوب النوم، انها ليست المرة الاولى التي يراها فيها بثياب شفافة، وبدأ ضوء الشمس يغزو المكان وقالت.

www.liilas.com

- انا... انا يجب أن ارتدي ملابسي...

- طبعاً، يجب عليك ذلك.

كانت عيناه مسرورتان وهما تنظران اليها وقال.

- دعيني اقول اولاً، انك تبدين وكأنني سجنتك هناك... اليس كذلك يا عزيزتي. قومي بمحاولة ثانية للهرب، وسوف تجدين الضياع، سهول السابانا هي مكان متوحش واحد صقوري لديه الرغبة بالبحث عن فريسة. انزلي لكي تتناولي افطارك عندما تكونين جاهزة، سأنضم اليك الآن بعد ان عدت من فروسية الصباح... لقد كنت ابحث عن ثورٍ تائه.

- وهل تحضرهم للمبارزة؟.

تكلمت بحشرجة وقال الدون.

- ثيراني فقط هي من اجل زيادة السلالة والاسواق سنيوريتا، لا تكوني رقيقة القلب هكذا تجاه الحياة وطرقها القاسية. فأنا قد شاهدت عدة مباريات لكرة القدم حيث الرجال يصابون بكسور في ارجلهم من جراء المباريات القاسية.

قال كلماته الاخيرة ومشى ببطء عبر طريق مقنطرة. وعرفت رومي دون ان تراه ان ابتسامة متهكمة ارتسمت على شفتيه، رجعت إلى غرفتها واخبرت نفسها بسخط بأنها كانت بالحقيقة غبية صغيرة لتشعر بلحظة شفقة لشيطان قادر، وافترضت انه كما اكثر المكسيكيين حيث هناك راقص فلامنغو الذي يضرب وجنتيه ويتملق بجروحه ليسترد نفسه من خلال جروحه.

راحت رومي تستكشف غرفتها، وبينما كانت تفتح الباب القريب منها وجدت نفسها في حمام مغطى باللونين الابيض والاسود، مع حوض للاستحمام واسع جداً ويتناسب مع الترف البادي على البيت، وكان هناك رشاش سيج داخل جدران زجاجية وكان هناك حوض صغير لغسل اليدين باللون الزهري الفاتح وكان عليه زجاجة من الاملاح الخاصة للاستحمام.

اي فتاة تستطيع ان تتقبل حمام مدهش كهذا بعد سنوات من

مشاركة حمام مع ابنة عم حيث الماء ينبثق من هنا وهناك وبودرة الحمام تنتشر في كل مكان؟ كما الطفل الذي يملك العاباً غنية جديدة راحت رومي تفتح الصنابير وانتشرت غيمة بخارية داخل الحمام. والتي تحولت حالاً إلى رائحة مغرية. سمحت لثوبها الليلي بأن يسقط حول رسغيها ثم نزعته كلياً وخطت بانشراح داخل الحوض الواسع، كانت رومي خجولة نوعاً ما مشاركة احداً في حمامه، فهي غالباً ما تغني عندما تكون وحدها، حيث الجدران ترجع دوي الحمام صداً إلى دفء صوتها، وغالباً ما تكون سعيدة عندما تغني لحن قديم لجدتها، فقط عينيها الخضراوين تشيران إلى انكليزيتها الاصيلة واصلها الاجنبي...

بعد نصف ساعة كانت ترتدي رداء برتقالي مع ياقة بيضاء والتي اظهرت الخط الابيض الرقيق لحنجرتها والعظام النحيفة لكتفيها، كان شعرها ما زال رطباً من جراء الاستحمام، واخرجت مشط على شكل سلحفاة كانت قد احضرته من مكسيكو ستي. لم تحتاج عينيها اية مستحضرات تجميل، وجلدها كان يتأجج بلون عسلي باهت. استعملت احمر شفاه بلون الزهريّ الفاتح، ماذا سيكون رأي الدون تجاه هذه الادوات التجميلية، كانت امها بعيدة لتتغنى وتحب ابنتها التي تحتاج هذا الحب، هل سيقرر الدون بأن على خطيبته ان تنبذ اللون القليل الذي يعلو شفتيها. ونظرت في المرأة فرأت عيناها تعبران عن ثورة بينما كانت تفكر في ميوله لاعطاء الاوامر.

- لقد اخذت الحرية في ان اطلب لك الفطور.

- يبدو انك تحب سلب الحريات سنيور.

- ان الرجال هم رؤساء ذو سمعة رديئة، هل تعرفين... انت رقيقة جداً، وأنا لا اعتقد بأنك تتناولي قطعة من الخبز المحمص مع فنجان قهوة، هل انا على حق؟

- اعتقد بأن الاسبان يتناولون طعاماً معتدل.

- معظمهم يفعلون، ولكنني أجد أن هواء السابانا يعطيني شهية

www.rewity.com/vb

عندما اقود، بعد أن نأكل سوف نذهب ونختار حصاناً لك، ارجو ان تعطيني يديك.

ـ لماذا؟

شهقت رومي وكأنه طلب منها ان تعطيه شفتيها.

ـ صدقيني، يا عزيزتي، فأنا لن أقبلها أو أضع الخواتم فيها، ليس في هذه اللحظة، تعالي . . . يديك!

بسطت يديها على مضض وأحست بدفء أصابعه النحيلة تحتويهما.

ـ الآن سوف تمسكين يدي، هذا أمر.

فعلت كما أمرها، وشعرت بقوة يديه الفولاذية والرباط القاسي للخاتم الذهبي الذي يضعه فيها.

ـ آه، اعتقد بأنك ستقودي ديكويزا دون أي صعوبة، انها كما تعرفين أفضل وأجمل فرس في هذا الجانب من المكسيك وهي من الخيول العربية الأصيلة. والأفرادوز أول اقليم احضرهم الى الوادي.

ـ انت فخور بكل شيء تملكه، اليس كذلك دون ديلكادو؟ ألن تعطيني فرصة وتدعني اقود احد احصنتك، وأنا تعلمت بأن انتبه في القيادة. . . ؟

ـ بين ذراعي احد الرعاة خاصتي.

بدا وكأنه يتسلى وكانت ابتسامته تحذير تراقص في عينيه والتي تحولت الى ابتسامة رقيقة، بينما كان الخادم يجر عربة الى طاولتهم وبدأ يقدم لهم الفطور. راقبت رومي بعيون جاحظة صحون المقانق اللذيذة، سودة، بيض، شريحة من لحم البقر، وبطاطا بيريه وقالت رومي.

ـ انا لم اكن لأطلب كل هذا.

بعد تناول الطعام تناولت رومي صحن من اليقطين المجفف حيث قدم بجانب اكواب من عصير الليمون، وعندما انهت الوجبة قالت.

ـ انني كنت جائعة فعلاً.

ابتعدت عنه، وانزعجت من نفسها لأنها ابتهجت ولو للحظة كونها فكرت بأنها خطية الدون ديلكادو.

ـ بماذا تفكرين؟

ـ الا تعرف سنيور؟ انه شيء سخيف ان تسأل ذلك في مثل هذه الظروف، اعتقد بأنك تستطيع ان تقرأ افكاري بسهولة.

ـ لا فقط عندما تنظري الي، الآن؟ انت تدرسين كل شيء في القاعة ما عدا الجزء الذي هو أنا.

اطفىء سيجاره في المنفضة وقال:

ـ هل وجدت القاعة كما تشتهين؟

ـ انها تجعلك تحس وكأنك تدخل عالم القدماء والتقاليد بطريقة يجعلك تضيع من الزمن.

ـ هل هي في هذه الحال لا تتوافق مع افكارك الحديثة.

ـ ان افكاري ليست فاضحة ومكشوفة سنيور مثل لهجة صوتك انني احب الحدائق القديمة الغناء، القصور التي تدخل في التاريخ، انا لست مخلوقة خارقة، تتنقل من ارتعاشة الى اخرى بحيث لا تستطيع ان تتحمل، هل كنت سأعمل في متحف ان كنت املك هذه الأفكار الحديثة؟ قلت بنفسك.

ـ نعم، اعرف ما قلت، ولكنني فقط وكشخص لاتيني لا أحب ان أرى امرأة شابة تسافر وحدها، هل هو حقيقي ما اخبرتني اياه؟ لا يوجد احد، لا قريب ولا حبيب يهتم بما تفعلين أو اين تذهبين؟

ـ ليس منذ وفاة جدتي، ان ميراثها هو الذي اتاح لي القيام بهذه الرحلة إلى المكسيك، لقد تركت لي رسالة تقترح فيها ان اسافر بعيداً ولو لمرة في حياتي.

ـ ولماذا المكسيك.

ـ لا اعرف حقيقة، انها تبدو اكثر غرابة من أوروبا.

ـ يبدو وكأنها تناديك. وربما لأن والدتك اسمها رومولا، ذي

www.rewity.com/vb

لهجة لاتينية، وهكذا كنت في الثالثة من عمرك عندما فقدت والديك.

- انا... فقدت والدي، وقد تركوني في عهدة جدتي بينما كان قد ذهب لتناول العشاء عند مخدوم والدي. كانت الدنيا مليئة بالضباب عندما غادروا وفي طريق العودة اصطدمت سيارتهم بناقلة ركاب ولقد قتلا على الفور.

اطلقت رومي تنهيدة وهي تتكلم وأضافت.

- جدتي كانت تخبرني دائماً انهم كانوا يحبون بعضهم، وهكذا في طريقة ما، كان من الجيد ان قتلا مع بعض.

- انت رومنطيقية جداً، سنيوريتا.

- لا!

انكرت رومي ذلك وأضافت.

- انا واقعية... لماذا يجب على الأشخاص المتحابين ان يفترقوا عن بعض، حيث يترك احدهم عرضة للحزن ما بقي له من سنين.

- هل وقعت في الحب ذات يوم، رومولا؟

- لا... نعم، قليلاً.

- حب ساذج بالطبع.

نظرة اليها بعينين تغطيهما رموش كثيفة وقال.

- مع الشاب الذي في الصورة، حسناً، انه لمن الجيد انك حصلت على قليل من الألم.

- لماذا؟

نظرت اليه وهي يائسة من التحدث عن حياتها وقالت.

- ما هو نوع عملك سنيور؟

- توقفي هنا، فنحن مخطوبين كما يقال هنا بالتعبير الشعبي.

- نحن ندعي هذا وأنت تعرف ذلك، ليس هناك من رباط رومنطيقي بيننا، انا اجدك متغطرس وأنت تجدني غبية.

- لا تدخلي دائرة الخطر.

امتلئت عيناه بتلك النظرات التي جعلت نظرته تبدو حية تحت نار متأججة.

- مثل معظم النساء فأنا لدي رغبة ان يحبني انسان...

- لماذا اذاً يجب ان ارغب بك بينما أوضحت انت بأنك تكرهينني، ايجب علي أن أجبرك بأن تقبلي قبلاتي، أم لا؟

وجدت شفتيه تقتربان منها قبل ان تستطيع منعه... لديه شفاه صارمة، شفاه تقبل دون اي جدال، تجعل الفتاة تشعر بعاطفته تخترق عظامها حتى الصميم، انه حتماً عاشق رائع، يطلب استسلام كامل من الشريك، يستطيع ان يكون عاطفي... ولكن هل هو حنون في داخله؟

- انني اقرأ عينيك.

قالها بلهجة شريرة وعلى الفور قفزت رومي على قدميها وبدأت تراقب قطة كانت نائمة على احدى الصخور المزخرفة. كان الدون غاضباً! ومع سحر عديم الرحمة داعبها بمزاج الهامي بحت وبعد ذلك عندما أوقفته استهزأ من خوفها منه، وعرف بأنه لم يوجد أي رجل عبر غرفتها وغازلها قبله، وكان يتمتع بالوضع بطريقته الجهنمية، يلعب بأعصابها ويثيرها.

قوست القطة ظهرها تحت أصابع رومي وسمعتها تموء... لم تكن رومي تحب الصوت الذي يأتي من الدون عندما يتكلم.

- تعالي، سوف نذهب الى الاسطبلات واقدمك الى ديكويزا.

كانت سعيدة عندما وصلوا الى مربط يعلوه اسم ديكويزا وهنا اطلق معصمها، نظر الى داخل المربط ثم فجأة رجع بنظره عنه وتكلم مع احد السائسين بلغة اسبانية سريعة، كانت رومي ترى بنفسها بأن مربط الفرس ديكويزا كان خالياً، وكان الدون يسأل الرجال عمن أخذ الفرس الى الخارج... ثم سمعت الأسم «سنيوريتا كارمنشيتا». ونظرة سريعة على وجه الدون اخبرتها بأنه كان منزعجاً جداً. كان سيضيف شيئاً عندما ظهرت امرأة شابة في ثياب الركوب في فناء الاسطبل وتقود بواسطة لجام فرس بلون

www.rewity.com/vb

الكريم وكانت الفرس تسير بعرج واضح. كان وجوم الدون ديلكادو كالصاعقة وهو ينظر اليها ثم مشى بخطى واسعة تجاه الفرس وأمسك اللجام، نظرت الفتاة التي كانت ترتدي قبعة اندونيسية الطابع نظرة تحدٍ الى الدون، كانت عيناه منحوتتان، وكان وجهها جذاب وجميل وقالت بلهجة عادية.

- انه التواء فقط، ديلكادو، كان هناك ثقب ارنب في الأرض وديكويزا داست عليه، استقرت عينا الفتاة فوق رومي ثم رجعت الى الدون الذي كان يحترق من الغضب مالت بذقنها وانزلقت القبعة الى ظهرها.

- عزيزي.

أجبرت نفسها على الضحك وأضافت.

- تبدو وكأنك ستضربني، هل فعلت شيئاً مريعاً؟

- لقد أخذت ديكويزا خارجاً عندما اعطيت أوامر واضحة بأنني ارغب بأن تظل الفرس في مربطها هذا الصباح، لقد أخبرت كارلوس بأنني غيرت أوامري، والآن رجعت مع الفرس في هذه الحالة، اشرحي بنفسك تفضلي.

- لقد احببت ان اذهب للركوب، وديكويزا هي افضل فرس في الأسطبل، وأنا احبها.

كانت شفتيها تطلبان المناشدة.

- لديك رغبة حسب طريقتك الخاصة.

قالها الدون بسرعة، وبعد ذلك لاحظت رومي انها تستطيع ان تفهم كل كلمة يلعنها الدون وتكلمت كارمنشيتا أولاً بلغة انكليزية وكأنها اعطت لرومي اشارة بأن هناك بينها وبين الدون مودة تجعله غاضباً الى هذه الدرجة. وكانت الفتاة مغرية في رداء ارجواني، واقراط ذهبية صغيرة في أذنيها، كان شعرها ذو لمعان خجول وكان مربوط باحكام وراء ظهرها، ووجه له ومضة كوميض الحرير.

وبنظرة واحدة عليها فهمت رومي لماذا الدونا دولوريس ترغبها زوجة لولدها. كانت من رأسها حتى أخمص قدميها لاتينية ونارية

كما الدون نفسه.

ومع لعنة اسبانية استدار الى الفرس العرجاء وأخذ احدى قوائمها بين يديه، لامس وتد العضلة، اقتربت الفرس ذي الانف العسلي ولامست رأسه، كائن محبوب ذو دلال واضح ولا يتحمل الدون ان يراه متألماً.

- عودي الى البيت كارمنشيتا، وكوني عاقلة كفاية لتظهري الطريق لروميلا، وأنا سأبقى لافحص الفرس.

- لقد سامحتني اذا يا عزيزي؟

ابتسمت الفتاة بوقاحة وقال الدون.

- لا... انت طفلة مدللة ويجب ان تعاقبي على ذلك، اذهبي مع حبيبتي وأرجو ان لا تؤذي رجلها ايضاً والا سأكون قاسياً معك.

وبناءاً على ذلك نظرت كارمنشيتا الى رومي مأخوذة بجسدها الرقيق وقدميها، وطراز ثوبها وقالت.

- كم تشوقت ان اقابل الانكليزية، التي يتكلم عنها الجميع، تعالي، سوف اريك الطريق وسنتعرف على بعضنا.

- لحظة.

سارت رومي نحو ديكويزا وداعبت شعرها الأملس، كانت الفرس ترتجف، كائن مظلوم استعمل من قبل فارس غاضب، امرأة مليئة بالأمال اصطدمت بلقاء الدون مع فتاة انكليزية، للحظة سريعة التقت عينا رومي بعينا الدون، وشعرت بنفسها تبتسم له ابتسامة مؤاساة، حيث قال لها.

- اذهبي على طول، والحوادث ستقع، كما اكتشفونا انا وأنت في رحلة القطار. جعلتها كلماته ترتعش ثم ذهبت بعيداً عنه مع كارمنشيتا، حيث اثرت وقاحتها اللاتينية على حساسية رومي.

- تبدين هادئة.

قالت الفتاة وأضافت.

- انتم البريطانيون اغبياء تجاه الحيوانات، ان لمن المستغرب

www.jewity.com/vb

ان تستطيعي حب رجل قاسي... انت مجنونة بحبه بالطبع، لا يوجد امرأة تكون بالقرب من ديلكادو دون أن تريده، وأنت كنت ذكية جداً....

وصلوا الى الفناء حيث ظهرت نافورة ازوليغو، وبينما هم بمواجهة بعضهم ارادت رومي ان تخبر الفتاة بأنها مرحب بها من الرجل الذي دخل حياتها، وأجبرها ان تتظاهر بأنها خطيبته ولكن عندما اندفعت الكلمات الى شفتيها فكرت بالطريقة التي تعرضت لها فرسها للأذية. هذه الفتاة لم تكن خبيثة فقط، كانت تميل ايضاً الى عدم الشفقة وقررت رومي بأنها تحتاج الى درس.

- مهما تقولين سنيوريتا، فهذا اختلاف بسيط، فأنا خطيبة الدون.

- كل شخص يعرف كيف انك اتيت الى هنا على انك خطيبته.

ضربت كارمنشيتا سوط الركوب بطريقة ذات معنى وأضافت.

- ولكنك لم تصبحي زوجته بعد، ولا شخص في الوادي يرحب بك كزوجة لسيد المزرعة، انهم يزدرون هذه الفكرة، انت بالنسبة اليهم من غير نار، ودون اشارة تدل على العاطفة، ولا الاحساس، انت لست امرأة للسيد.

- كنت امرأة كفاية على القطار.

تركت الكلمات شفاه رومي قبل ان تستطيع ايقافها... حملقت كارمنشيتا فيها، وبعدها بضربة حادة من سوطها ترنحت تجاه الساحة ثم توقفت قرب واحدة من الطرق المقنطرة المنحوتة ونظرت الى رومي، ثم فرقعت ضحكتها باستهزاء.

- الزيت والماء لا يمتزجان، ايتها الانكليزية، الثلج والنار لا يسعدا معاً.

اختفت في الظلال الباردة للمنزل واصبحت رومي وحيدة فقط مع صوت مياه النافورة، وحولت نظرة تجاهها وذعرت عندما سمعت صوت اقدام رجل ما، نشيطة وقوية على أرض الساحة،

اصبحت تقترب وتقترب حتى اصبحت قريبة منها استدارت ووجدت نفسها تنظر الى بدلة رسمية وصاحبها الكابتن جافير.

- سنيوريتا.

ابتسم بعينيه الداكنتين وقالت رومي.

- كم هو جميل ان نتقابل ثانية، كابتن.

كانت مسرورة لرؤيته، وأخيراً ربما يكون هناك شخص ما في المزرعة لن يعاملها بعداوة، ولم تنس كم كان منهكاً بعد قضائه الليل في مساعدة المسافرين على القطار المحطم وقالت.

- اتمنى أن تكون قد أتيت لتمكث هنا بعض الوقت.

- ولكن... طبعاً.

نظر حوله في المزرعة وكان هناك متعة تتسع في وجهه وقال.

- ليس لدي بيت حقيقي ما عدا المكاتب، مساكن في نورث ريارا، وسوف اكون سعيداً بأن أكون ضيفاً هنا، وهذه المرة انا سعيد جداً بسبب الواجب الذي عليَّ انجازه.

- وهل لي ان اسأل ما هو، كابتن؟

- الم يخبرك ديلكادو؟

ارتسمت ابتسامة تحت شاربه الأسود وأضاف.

- انني اعرف انه ميال الى تحليل الأفكار برأسه قبل عرضها على الآخرين، ولكن هذه هي طريقته وسوف تبقى كذلك، كما تيار الشاطىء فهو لن يتحول عن غرضه ابداً.

- ارجو ان تعذرني، ولكن ما هو الواجب الذي طلبه منك الدون، بحيث انك حضرت سريعاً.

رفع لويس جافير عينيه وضحك منها، وفي عينيه نظرة تسامح وقال.

- لقد طلب ان اقدم له زوجته في يوم الزفاف وهو واجب يجب ان انفذه بكل متعة... وبعض التردد.

- هو... طلب منك ان تفعل ذلك؟

قالت ذلك وهي تلهث فقال الدون.

www.ewity.com/vb

- نعم، لقد اتخذ قراره عندما استعار حصاني وهكذا يستطيع ان يأخذك الى البيت الست مسرورة؟ اؤكد لك انه سيكون شرف لي.

لم تستطع رومي الا ان تنظر الى الكابتن بذهول صامت، لا يحق للدون ديلكادو ان يذهب الى هذا المدى مطلقاً، دعى صديقه الى تمثيلية وتحضير زواج حقيقي قد خطط له. كانت غاضبة وفي نفس الوقت ترددت بأن تخبر الكابتن الحقيقة.

أرادت من قلبها ان تبوح بها، ولكن شيئاً ما منعها من ذلك... في طليه ان يصون مركزه الدبلوماسي، دون ديلكادو أجبرها على التصنع بأنها خطيبته، لا ابداً... لم تحلم ابداً بالزواج منه.

الفصل السابع

كانت رومي قادرة في لحظتها على الضحك وهي تفكر بالفكرة التي تصور الدون ديلكادو الفخور يجر عروسه إلى مذبح الكنيسة، في أي حال الدونا دولوريس ما زالت باردة تجاهها وغير مستعدة لتقبل بفتاة انكليزية تدخل واحدة على اهل البيت كفتاة اختارها الدون، كان في شخصية الدونا تصلب كولدها وكذلك تشبث بالرأي مما جعل زيارة رومي غير موفقة. وأظهرت الهوة العميقة التي يمكن أن تقع فيها... طرقها الانكليزية تبدو بعيدة عن نمط العيش على الطريقة الاسبانية.

وفي احدى الأمسيات وبينما كانت تجلس وحيدة معتقدة بأن كل شخص كان يجلس في غرفة الجلوس، أتى الدون بصمت ورائها واكتشف انها تحاول رسم صورته.

- مساء الخير.

قال كلماته بينما كان يتكأ على ظهر المقعد التي كانت تجلس عليه.

- يا لهذا الجمال الذي انظر اليه، هل ترينني انت هكذا ايضاً يا عزيزتي؟

أدارت رأسها لتواجهه وحدقت في عينيه النافذتين وقالت.

www.rewity.com/vb

ـ أوه... انا لم اسمعك، سنيور، انا احاول ان أرسم بعض التصورات، ولكنني أرى أن طموحي اكبر من خبرتي، ان... لك وجه صعب... أوه، انت تعرف ما أعني.

ـ هل أعرف حقاً؟

أدار الدون نفسه ووقف قبالتها وبعثت رائحة عطره الاثارة في اعماقها.

ـ انت لغز محير جداً... يجب ان يقوم برسمك الفنان فيلا سكونير.

مال برأسه الاسود وانزلقت عيناه فوق صورتها الفتية في قميص ابيض حريري وتنورة قرمزية مطعمة بأزهار العبير، وكان شعرها قد ربطته فوق كتفيها وكأنها تبدو مراهقة صغيرة... ولكن للمحة صغيرة ظهر الخوف الانثوي في عينيها بينما تحرك الدون كما الفهد الهندي تحت الشمس واتى ناحيتها بخطاه الرشيقة الصامته، كان رجلاً عظيماً في قوته ونشاطه وادراكه العميق.

وعندما التقت عيناها بعينيه، رأت رومي فيه ليس فقط العظمة ولكن صلابة هذه الارض والسماء الحرة للنسور، وسابانا الثيران القوية والرياح المتوحشة.

ـ اريدك ان تشاهدي ارضي، من على قمة الاتاليا، تريدين بالطبع ان تأتي معي؟.

ـ وهل لي خيار آخر سنيور؟.

ـ لك، ولكن سيكون من الغباء ان تنكري نفسك وتهربي لكي تتجنبيني، انا اعدك ان لا استغل حسنات علاقتنا المفترضة، تعالي.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتيه ووصل إلى يدها وقال.

ـ انه يوم جميل، سوف نذهب لاميال بعيداً، حتى قمة التل هناك.

ـ سآتي، ولكنك لست مجبراً ان تقودني، وكأنني طفلة.

هذا المكان هو الامثل للعاشقين لكي يتلاقوا عندما يسدل الليل

ستاره، وكانت تدرك رومي انها وحدها مع سيد هذا المنطقة كلها، في كل مرة تجد نفسها وحيدة معه كانت تشعر وكأنها المرة الاولى... كان خطيراً دائماً، ولا يقبل المقاومة.

ـ سوف اسير امامك.

قالها الدون، وكان هناك ملاحظة تحذير في صوته جعلها واعية لنفسها بقربها منه، اصطبغت وجنتيها باللون الوردي بينما كانت تتسلق وراءه. امسكت رومي انفاسها عندما كانت تقف بقرب الدون على السور الحديدي لشرفة البرج الذي يشرف على المزرعة. كان المنظر من هذا العلو صاعقاً، واعترفت رومي بأن اي رجل يحكم مثل اللورد كل هذه الاملاك سوف يمتلك بالتأكيد احساس التفوق والثروة والسلطة.

ـ كلما اتيت إلى هنا...

قال الدون ذلك وكأنه وحده واضاف.

ـ اشعر بإحساس عميق بالسلام، وكأنني اخذت اجازة من اهتماماتي ومسؤولياتي لفترة ما. اطوي جناحي مثل النسر واستريح.

ابتسم الدون ووضع كوعه على جدار السور، وكانت عينا رومي تنظران إلى وجهه الجانبي، والآن وهم لوحدهم كانت اللحظة مناسبة لتسأله وتعرف لماذا اخبر لويس جافير بأن واجبه ان يأخذ العروس بعيداً...

ـ سنيور؟.

ـ نعم روموﻻ؟ هل هناك شيء تريدينه.

تكلم بكسل، وكأنه لا يريد ان يُزعج بمسائل جدية في هذا الوقت.

ـ انظري إلى هؤلاء القمم وراء تلك الفجوة في السماء... انهم مثل مساكن الآلهة... آه، يجب ان تنظري اليهم عندما تعصف الرياح، وعندما تضرب الصاعقة من قمة إلى قمة، تهدر كما الغضب في بيوت الآلهة، الجروح المضيئة تفتح الغيوم،

www.rewity.com/vb

والمطر يمتلىء بسرعة كما دموع العواطف القوية المعبودة، وفي اوقات اخرى تبدو القمم وهي تلتف في هدوء ناعم... ليلة حب عن الآلهة.

- اريد ان اسألك شيئاً.

وقفت بتشدد قبالته، لم تضعف حيث كان يتكلم عن الحب واضافت.

- هل تصغي اليّ، وتعطيني جواب صريح، لا تتملص من هذا السؤال؟.

بعيداً جداً عن العادات اللاتينية اذا فعلت ذلك، ان اللاتينيون يشعرون بكل شيء بقوة ويجب ان يكون هناك وقت حيث يمكنه ان يرتاح ولا يزعج بجدال او بالاشياء الاخرى، تعالي، اعطيني ساعات لاتظاهر بأن لك فقط اهتمامات ومشاغل الراعي الذي هو في الظل مع قطيعه تحت خيمة تغطي رأسه.

- هل حقاً تريد ان تكون راعياً.

نظرت اليه بتشكك حيث قال الدون.

- طموحي سنيوريتا!.

تحول الدون بكسل لينظر اليها وقال.

- ان لدي واجبات حيث اجد نفسي اتقبلها بعدم اهتمام تجاه ما اعشقه من واجبات اخري، انني احسد الرجل الذي يملك جواده وسرجه والشمس فوق رأسه، انه حر، انا فقط سيد.

- انت تحب ان تكون سيداً على الشعب.

ضحكت رومي واضافت.

- ماذا تعني؟.

حثها شعورها لأن تبتعد عنه ولكنها عندما فعلت وجدت نفسها وقد حصرت في الزاوية الحديدية للشرفة، وبخطوة واحدة تبعها الدون بينما وقعت في فخ قامته الطويلة وومضة شريرة تظهر في عينيه.

- هل اخبرك بأي قانون يعيش الراعي، الفاكهة لذيذة ولكن

على الانسان ان يأكلها والا فإنها تتلاشى، الازهار جميلة ولكنها يجب ان تقطف والا فانها تذبل على غصنها، حسناً يا عزيزتي، ماذا تقولين في ذلك؟.

- لم تترك لي مجالاً للكلام.

تعلقت عيناها بابتسامته لا ارادياً التي دلت على عدة اشياء، وظهرت خطوط عضلاته السمراء تحت قميصه الحريري الرقيق، وعرفته رجل ذو عاطفة هائجة وعناد كبير كالرجال الذين يعملون لديه.

- ربما تريدين فقط ان تثيريني لأن كل شخص هنا يعتقد بأنك قمت بذلك قبل الآن، انك تحبين الالعاب الاحتيالية، واللعبة التي تلعبينها الآن معي لا بد ان تكون مسلية.

- مسلية!.

لامست اصابعه شعرها بينما كان يقول.

- انت تضطربين كالفراشة الصغيرة وهي حول اللهب، وتتساءلين ماذا يشبه ذلك.

- انا لم اسأل ذلك ابداً.

- آه، ولكن انت تفعلين، ليس هناك شخصين متناقضين تماماً مثلنا انا وانت واتجاهاتهم تجذب كالبرق باتجاه شيء واحد.

- يبدو انك تحب ان تقول عبارات ذات معاني عميقة، دون ديلكادو، ولكنها ليست دائما الحقيقة المطلقة، لقد اخبرت الكابتن جافير بأنه مدعوا إلى حفلة زواجنا بكل ما تحتويه، والآن انه يعتقد بأن عليه ان يأخذ العروس بعيداً، لن يكون هناك زواج لانك لن تحصل على زواج دون عروس.

- يبدو ان ذلك صحيحاً.

كانت نظرة الدون استهزائية واضاف.

- ولكن لويس ليس لديه عائلة، وهو يحتضن عائلتنا في احترام شديد، ولذلك لا استطيع ان اجعله يفكر بأنني سأعرض شرفي وشرفك للكلام، لقد اخبرته في اهتمام بأنه يستطيع ان يأخذ

www.ewity.com/vb

عروسي عندما اتزوج... انا سأكون عروسك.

- ولكنه نفس الشيء، وسيعتقد بأنني أنا... انا سأكون عروسك.

- لدينا قول يا رومولا يقول «لا تهرب إلى اي ملجأ قبل ان تمطر».

- يعني ذلك انني ادخل في حلقة مفرغة.

- الست كذلك؟ ولدينا قول آخر ينصح الانسان بأن لا ينظر إلى المستقبل، ولكن ان يتمتع بقمر ليلته، خمرته وفتاته.

- انا سعيدة، سنيور، بأن هذه الالتماسات هي لليل فقط.

- انا التمس ذلك فقط بالنهار، انني اتمتع بالشمس، بالمنظر والفتاة التي تمدحني بخوفها مني.

- انا... انا لست خائفة منك.

- اذن فإن عيناك كاذبتان.

- انهما ند للشخص المخادع الذي حولتني له.

بدأت الدموع تزحف إلى عينيها وجعلتهما تتألقان، لم تتمتع رومي بخداع والدته، التي اعجبت بها لرشاقتها والبرودة التي قوبلت بها.

رومي، لم تناديها بأمي، والتي افتقدت دائماً المعنى الحقيقي للحب التي تعطيه الأم. وغالباً ما شهدت لمسة اليد المرصعة بالجواهر على وجنة الدون النحيفة، ابتسامة الملاطفة التي ارتسمت على محياها عندما قدمت الدونا دولوريس الشراب او عندما ساعدت الدون في انتعاله لحذاء الفروسية. لم يكن سهلاً على رومي ان تعيش كذبة، ليس لأن هؤلاء الشعب لاتينيون ومتيقظين للعاطفة الجامحة ولذلك فهم لن يصدقوا الحقيقة... بأن الدون لم يمارس الحب معها خلال الساعات التي قضاها واياها على متن القطار.

وبينما كان الدون يراقب الدموع في عينيها، عبر حاجباه العريضان عن تكشيرة صغيرة حادة وقال.

- ماذا تسألين بواسطة دموعك تلك، ان ادعك ترحلين، يا الهي، سيعتقد العالم بأنني اسيء معاملتك، فقط اليوم كنت انظر إلى الاوراق والاشياء في سرداب العائلة ولقد وضعت يدي على شيء ربما يسليك، وخططت ان اعطيك اياه هذا المساء، تذكار صغير لتكوني فتاة صالحة.

- لا تتكلم معي وكأنني طفلة.

تكلمت بلهجة عاصفة فيما هي تمسح دمعة انزلقت على خدها واضافت.

- لا احتاج بأن ارتشي.

- رشوة!.

حملت ملامحه نظرات تهديدية، واطلقت رومي صرخة الم عندما طوقها بأكتافه وسحبها بحدة مفاجئة تجاهه وانحنت يده وطوقت رقبتها، كان رأسها في وضع ساكن بينما كان يميل عليها ويقبلها لوقت طويل دون اية رحمة او رقة، كانت قبلته عقابية بحتة، وبالرغم من انه اذاها فإن رومي كانت متيقظة لذراعه كما الدرع بين جسدها القابل للانجراح وحديد السور.

- ذلك الوقت، اخذتني إلى مسافة بعيدة.

همس الكلمات بينما كان يتوه عن تقبيلها ونظرته تعيد اللون الاحمر إلى وجهها وإلى خديها وقال.

- الآن اعطيتك شيء لتبكي عليه.

- واعطيت نفسك صفة بعيدة عن الوحشية.

- الم تكوني في شك في ذلك؟.

احتضنها في سهولة وحشية بينما هي تحاول ان تلوي نفسها بعيداً عنه وقال لها الدون بجدية.

- ان لدي ايمان حقيقي بأنك قادرة على ان تقفزي عن هذا السور لتهربي مني... سقطة قاسية ومؤلمة... اصعب بكثير من ان تقبلي بقبلاتي.

- انني اعطيك متعة حقاً بأن تلعب دور الشيطان معي، اليس

www.ewity.com/vb

كذلك.

حدقت عيناها في عينيه التي كانت مليئة بالرقة بدلاً من الدموع وقالت.

- كل حياتك كان لك طرقك الخاصة، والآن يجب ان اكون معك، وانا اكرهك لانك اجبرتني على المجيء إلى هنا، انا اكره برجك، قصرك وكل شيء يخصك.

- كوني اكيدة...

قال الدون ذلك واضاف.

- اننا غطينا الارض واشواك زهر الصبير التي تخدشني دائماً. انت تعرفين بأنك لا تحتاجين الجواهر مع عينان مثل عيناك.

- استطيع ان افعل دون مدحك لي.

- انا اقول ما هو حقيقي، ان المديح له ختم العملة المزيفة.

- لقد وضعتني في مكان خاطىء.

- سانيتا امانداء انت فعلاً تكرهين ان تكوني الملاك الموجود في عيون كل رجل حسناً، هناك علاج لذلك، ولكني اكيد من انك ستعانين منه قريباً.

- نعم.

اعترفت بذلك واضافت.

- سوف اقبل بأي شيء مقابل عدم الزواج برجل لا احبه، ولا حتى بعد مرور آلاف السنين.

- ان تصريحك واضح.

تكلم الدون ببطء ومثل طفلة صغيرة قالت رومي.

- اتمنى ان يكون آلمك هذا الكلام.

- ولكن كيف يمكن لرجل من حديد وذو طموح كبير ان يجرح، فقط هؤلاء الذين لديهم شعور يتألمون، وهل ابدو لك محطم القلب؟.

- تبدو مثل الشيطان الماكر دائما.

- وماذا تحبين ان اكون، معجب كما لويس ومذهول من خضرة عينيك.

- انا استطيع ان اضربك. انت تجعلني اثور من جراء عباراتك. وكأنني فتاة عليها الزواج منك بكل رضاها، وسوف اكون شاكرة لك عندما استطيع ان اسلم وامشي بعيداً عن هذا الارتباط المضحك وارجع إلى انكلترا حيث سلامة العقل، حيث الشعب لا يندب الاغتصاب فقط لأن رجل ما شوهد في ثيابه الداخلية مع فتاة.

- كم انه غير مثير للمرأة الانكليزية ان المساواة مع الرجل حولت غرفة النوم إلى غرفة عامة.

- ربما ذلك غير مثير، سنيور، ولكن شعبكم متكلف الحشمة والحيادة تجاه امور كهذه لأنه يبدو انكم غير قادرين على التحكم بعواطفكم والثقة بها.

- انني اعتبر انني كنت مسيطراً تماماً على نفسي في ليلة القطار.

اتكأ على سور البرج، واصبح قريباً من الفتحات الصغيرة للاتاليا. وفي حركات كسولة من يديه اخذ سيجار رفيع من علبته وراقبها من فوق الولاعة التي انارت وجهه وبدت ملامحه منقوشة بدقة بينما اعطاه الدخان سمة الغموض.

- فقط لأنك تبدين صغيرة وخائفة وليس لأنني قديس وجد عينان خضراوان بريئتان. بدأت اتعجب اذا كان بعض كلامك صادر عن خيبة الامل الانوثية التي لم استغل من حسنات برائتك فيها. في الحقيقة انت لن تستطيعي ان تكرهيني اكثر من ذلك. هل صحيح ذلك؟.

نظرت رومي اليه، تبحث في عقلها عن كلمات بأستطاعتها ان توخز جلده الذهبي الرائع، كان الدون مأخوذاً في النقاء الرقيق لوجهها. العظام تحت جلدها الانكليزي، وصورة شفاهها

www.rewity.com/ub

المتمددة بخفة والتي قبلها منذ قليل.

- الملاك والرجل المستبد، انت وانا، لا استطيع ان افعل الا ان اجيء بك إلى المزرعة ربما تسرب الخبر بأنك كنت في رفقتي في المقصورة المقفلة، حتى انا ليس لي من قدرة لاخفي ذلك، وسوف تزعجين انت من قبل الرجال في اكذريكا، المكسيكيين يعيشون من اجل الحب، وانت جميلة.

- معظم الفتيات الانكليزيات يشبهونني، وانا لست غير عادية.

- هنا في المكسيك انت كذلك. انت تقفين خارجاً فراشة بيضاء مع نمر هندي، كالزنبقة في حديقة الخشخاش، اذا كنت لا تعرفين ذلك، فأنت اصغر مما اعتقد، وبريئة جداً لأن تتركي وحدك في هذا العالم، الدير هو المكان الافضل لك بدلاً من قطار يعبر ويقطع الصحاري المكسيكية.

- لقد خططت ان اتجنب المشاكل دائماً، حتى ظهرت انت في حياتي. عندما رأيتك لأول مرة في مكسيكو سيتي، تمنيت ان لا اراك ثانية.

- حتى شرفك ملائكي.

قالها وهو يضحك ضحكة صغيرة واضاف.

- انني اتعجب لماذا كنت خائفة ان ترينني مرة ثانية؟ هل اعطيتك انطباع سيء بينما نحن نقف تحت القناطر والارض تهتز لتفتح تحت اقدامنا، ولو حصل ذلك فعلاً، يا عزيزتي، كان يجب ان ندفن احياء لنبقى متشابكي الايدي إلى الابد، ما هو نوع الهروب الذي تملكينه.

وضعت ذراعاها على حافة الشرفة وشعرت بابتسامة تزحف على شفتيها. اذا ما كان قد سمعهم اشخاص كما هم الآن فلن يكون هناك سؤال عن فضيحة لأنه من سيصدق بأنهم كانوا... عشاق؟ الحب كان طبعاً همسات حنونة ولذيذة، قبل هائمة وهائجة... معارك رقيقة واستسلام لاهث.

- سوف تخيب املي سنيور اذا لم تكن تهكمياً.

رمته بنظرة حادة بينما كان يتكأ بجانبها وينفث دخان سيجاره بعدم اهتمام امام حيرة رومي، وصل سكونه إلى حد التهذيب، كما النمر برشاقته، ربما يكون ضوء الشمس او اي شيء آخر الذي تربص وراء جفون عينيه النصف مغمضتين. وكانت رومي متيقظة وتحاول ان لا تظهر بأنها ما زالت لا تحس بطعم قبلته على شفتيها... ذكرى اليمة تذكرها دائماً بأنه قادر ان يتحكم بها اذا اراد.

ارتعش جسدها هلعاً لمجرد التفكير بأنها ستكون سجينة تلك الذراعين الذهبيتين، وكانت على وشك تقديم عذر ما لتغادر عندما ارتسم ظلاً امامها وسمعت صوت رفرفة طائر ما فوق الشرفة مباشرة والذي حط فجأة وبلحظات قصيرة ابتعد مرفرفاً بجناحيه نحو السور... وضع مخالبه على السور. امسك الدون رومي ومشى واياها باتجاهه، واختطف فانوس حديدي معلقاً على الجدار وقربه من النسر الذي طار وهو يصرخ حيث نشر جناحيه في تحليقهما نحو زرقة السماء الصافية.

وقفت رومي وهي تلهث على الشرفة، بينما بقي الدون قرب السور، يراقب النسر الذي غار إلى ما لا نهاية. وبعد ذلك استدار الدون وتقدم بخطوات واسعة تجاه رومي وقال.

- لقد كنت هادئة وشاحبة يا عزيزتي.

- انني اوافقك ان النسور مرعبة.

- المخالب، والعينين... بدائيتين جداً.

حدقت رومي في عيني الدون ثم وكأنه اراد الانقضاض عليها، استدارت رومي وركضت كل الطريق بدون توقف، ووصلت وهي تلهث إلى البهو حيث كانت الدونا دولوريس تأخذ الشاي مع اثنين من العمات.

- روميولا، هل انضممت الينا في احتساء الشاي.

التمعت خواتمها بينما كانت يدها الرشيقة تمتد إلى ابريق الشاي، كان الطلب مهذباً وكانت فكرة احتساء الشاي جيدة.

ولكن رومي ارادت فقط ان تكون في غرفتها ذات الجدران البيضاء والشرفة المغلقة.

- شكراً لك سنيورا، ولكن ليس الآن.

لمعت عينا رومي الخضراوين واشارت إلى اصفرار وجهها، واسرعت الخطى عندما لمحت الدون يخطو إلى الباحة، سوف يتكلم عن النسر، ولا شك بأن ابتسامته وهزة كتفيه سوف يصاحبا كلامه.

وصلت إلى غرفتها بينما شرارات غروب الشمس تميل اكثر إلى الغروب، وتحرق بنعومة الجدران البيضاء، انسلت رومي إلى سريرها ودفنت وجهها في الغطاء الحريري. كانت ترتعد من ردة فعل النسر... وليس اقلها من الدون نفسه.

حاولت نسيان لمسة يديه، والاحساس بذراعيه والضغط الملتهب لشفتيه... بدأت تخاف مما يريده منها... وكان هناك الكثير من الحقيقة في شكوكها منه، وبأنه لن يكون راضياً الا عندما يصبح اغراءه لها واقعاً ملموساً.

يجب ان تهرب منه... حالما تجد طريقة ما خلسة بعيدة عنه... وفي الوقت الحاضر عليها ان تتجاوب معه، ولكن سيأتي يوم، ساعة تختفي فيها ابتسامته الساخرة وتذكرت رومي ايضاً يداه والتي اصبحت بالنسبة اليها سجنه الدافىء الحي.

دق قلبها وسرت رعشة في انحاء جسدها، لن تجازف ثانية في الدخول إلى برجه العاجي، حتى عندما ينظر اليها بعينين نصف مغمضتين فأنها تستطيع ان تحس به وتشعر بصورته التي تملك قوة التماثيل الذهبية مع حواجب طويلة تتناسب مع الخط المستقيم لانفه، كان فكه عادياً... ولكن فمه المثير هو الذي اعطاه صفة الرجل العاطفي.

فمه الذي سرقها بطريقة الاغتصاب.

الفصل الثامن

عصفت الريح فجأة ومع مرور الوقت استعدت رومي للعشاء، ارتدت لهذه السهرة فستان اخضر صافي مع ياقة بيضاوية ووضعت ايضاً بضع قطرات من عطرها الانكليزي المفضل وحذائها ذو الكعب العالي كان يحمل نفس لون الثوب وشعرت بالاناقة وبدت انكليزية باردة بشعرها الاصفر المعقوص التقت لويس جاڤير ونزلت برفقته إلى الاسفل وسألته.

- هل ستسوء حالة الريح كابتن.

قالت ذلك بجدية واضافت.

- انني افكر بالقهوة وغابات الكاكاو والضرر الذي يمكن ان يلحق بها.

- ان الزراعة محمية بواسطة جدران الاودية، وهذه الرياح تثور احياناً اكثر مما هي في الواقع.

ابتسم الكابتن جاڤير ابتسامة رقيقة لها واضاف.

- على كل حال انه شعور جيد ان يكون الانسان هنا وليس خارجاً يمتطي الريح والرفقة جيدة وسوف نتناول وجبة ممتازة مع افضل انواع الخمرة، ما لدينا لنطلب اكثر؟.

- انك تجعلها وكأنها حفلة.

www.rewity.com

كانت رومي تضحك وهما يدخلان القاعة واصبحا مباشرة تحت نظر الدون ديلكادو، كان يبدو اطول من كل الرجال، يرتدي بزة قاتمة خيطت لتناسب جسده القوي، وفوق رأسه مباشرة وضعت صورة لاقنعة الازتيك، واختارت رومي ان تنظر إلى عيني القناع بدلاً من النظر إلى العينين اللتين راحتا تقيسانها من رأسها حتى اخمص قدميها.

بدت كارمنشيتا وكأنها فتاة هندية جذابة في بلوزتها المكشكشة وتنورتها بلون ريش النعام وكان شعرها يلمع تحت الاضواء ومرتباً بطريقة معقدة وتتداخل فيه الظفائر. كانت اجفانها الطويلة واضحة للغاية وهي تحدق في رومي وزادت الاقراط في اذنيها من ثألقها.

التقطت رومي الرسالة التي لمعت من العينين اللاتينيتين. كارمنشيتا ريفيلدا كانت مخلوقة لرجل مثل الدون وسوف تفعل اي شيء لتأخذه بعيداً عن فتاة انكليزية تبدو غامضة معه.

- كم تبدين ساحرة كارمنشيتا.

عنت رومي كل كلمة، ولكن الفتاة اللاتينية ابت ان ترد على الابتسامة بالمثل، احترقت عيناها بغيظ بينما كانت تنظر إلى الشعر الاصفر والجسد النحيل للفتاة التي قدمت كغريبة لتصبح زوجة الدون ديلكادو.

- سكوت من فضلكم.

كان الدون يرفع يده، وعلى الفور عمّ السكون المكان وقال.

- عندي شيء اريد ان اقدمه لخطيبتي، والذي لم اجد سواه في مجوهرات العائلة لقد اردت ان يكون هذا الاهداء على انفراد ولكنني كنت مشغولاً طوال المساء بحيث فاتني الوقت، روموﻻ، هلا اتيت اليّ؟.

احترقت وجنتا رومي بينما تحولت كل العيون للنظر اليها. لم تستطع التحرك واحست بأنها كرهته في هذه اللحظة لأنه جعلها لعبة للاختبار امام عائلته، ومن بين كل العيون عليها، بدت عينا والدته مركزة عليها بشدة، وكانت تعرف كما تعرف رومي بأنه كان

يشد على الذراعين بذراعيه اللتان لم تحبانها قط، لم يعرف اي امرأة خلال حياته حاولت ان تصده كما فعلت رومي، وكان الدون مراوغاً كما المحقق في عقابه.

بدت الدونا دولوريس مشمشزة، وضحكت كارمنشيتا بصوت مسموع، فتأرجحت الاطواق التي التفت حول رقبتها.

تحرك الدون تجاه رومي وعلى شفتيه اجمل ابتسامة رأتها رومي في حياتها. وكان الغموض في عينيه لغزاً وبدا كفهد يستعد للانقضاض على جمالها. أنذرته عينا رومي بأن لا يقترب اكثر ولكنه بدا شامخاً من فوقها وارتفعت ذقنه بثبات فوق وجهها.

- ارجوا ان تعطيني يدك، تعالي، لا تخبئيها وراءك وكأني اريد ان اقضمها.

رغبت رومي في تحديه، ولكنها الآن خضعت له لأن كافة افراد الاسرة تراقبهم وكانت تخضع له وهو يأسر يدها في يده، اخذ معصمها في يده القاسية ونظر في وجهها وقال.

- مرتبكة مني.

قال ذلك قرب اذنيها، وكانت النظرة التي وجهتها له محتقرة، حيث اغلق الدون حول معصمها سوار من الجواهر النفيسة لها نفس الظل الاخضر لعينيها، توقف قلبها للحظة... ان الاسبان لا يقدمون خواتم ولكن سوار علامة الخطوبة.

- والآن العقد.

قال الدون ذلك وعرفت رومي انه لا يوجد مجال للاعتراض... وبدا هذا الاعتراض وكأنها تطلب الرحمة من الريح التي تضرب المزرعة.

- لن اضايق شعرك كثيراً يا عزيزتي.

ارتفعت يده على شعرها الاصفر، وكانت عاجزة عن الدفاع عن نفسها بمواجهة اصراره، ولفّ العقد حول رقبتها والذي لاءم السوار الذي في معصمها وكان العقد يرسل شرارات لامعة والتي صدمتها كيديه على جلدها. فكرت انه يقدم لها الاحجار الكريمة

www.rewity.com

ولكن عندما نظرت إلى عينيه عرفت بأنها مخطئة.

- طفلتي.

تقدمت الدونا دولوريس من رومي، وكانت تظهر السرور طبعاً الذي لم تكن تشعر به قط. اخذت وجه رومي بين يديها المرصعة بالخواتم وقبلت وجنتيها وقالت في استخفاف.

- ماسات العائلة اصبحت لك، انت تملكين العينان التي تتلائم معهم، هل انت سعيدة بهم.

نظرت رومي برعب إلى السوار واذعنت إلى ابتسامة صدرت منها وقالت.

- انه لطف كبير من الدون ديلكادو ان يدعني اضع مجوهرات قيمة...

- سوف تصبح لك عندما تتزوجي ديلكادو، ولكن من اللطف ان يعرض خلال الخطبة بعضاً من مجوهرات العائلة، وانا مسرورة لأنك ممنوحة لولدي... ما رأيك... مظهر جميل، مع شعرك الناعم وجلدك الرقيق.

عرفت رومي ان الدونا بدت طبيعية لأن العائلة تراقب تمثيلها. كانت لهذه العائلة عواطف قوية، فخورة ومتفجرة، وكان من مصلحتهم ان الدون قدم المجوهرات، وان يلعب دوره إلى آخره، وكانت رومي حساسة للغاية. متحفظة للغاية لكي تحدث ضوضاء امام العائلة المتجمعة.

اطلق الدون ابتسامة تهكمية امام الحشد المتجمع وقال.

- هذه المرة سوف احصل على اكثر من الاذن.

قالها بتهكم.

- وهي اجمل بكثير من اي ثور، يا صديقي.

قال ذلك واحد من اعمامه كان يضحك واضاف.

- لقد كان رجلاً عظيماً هذا الانسان الذي ستتزوجينه يا رومولا، لقد واجه الثيران بجسده القوي ذلك... ديلكادو هل سنقاتل ثانية في حلبة المصارعة؟.

- لا يا عمي ذلك النوع من القتال انتهى الآن.

لمعت عينا الدون في وجه خطيبته واضاف.

- لقد دخلت الآن نوعاً آخر من المعارك.

ضحك الرجال بينما ابتسمت النساء خلف مراوحهم الجميلة الاسبانية.

- لحظة الحقيقة ممكن ان تكون مثيرة، اليس كذلك.

- تقريباً.

اجاب الدون واضاف.

- والآن اعتقد بأنه علينا ان نتوجه إلى طاولة العشاء قبل ان تبرد الوجبة.

كان الدون هو السيد وأنه فخور بالمركز الذي يحتله.

- بماذا تفكرين رومولا؟ بأننا ننتمي إلى العصور الوسطى، وبأننا نتمسك بالتقاليد العائلة، ونحن ان نأكل ونتكلم ونضحك معاً تحت سقف واحد.

- انا... انا احب ذلك نوعاً ما.

تحولت رومي إلى لويس جافير وسألته اذا ما كان هناك اي فرصة للابحار في البحيرة القريبة عندما يتحسن الطقس.

- لقد رأيت الهنود يصطادون في الاجزاء العميقة، وانا احب ان ابحر عبر البحيرة إلى الجزيرة... جزيرة حجارة التضحية.

- انها مهجورة دائماً رومولا، والهنود لا يقتربون منها.

- هل ستفعل لويس.

برقت عيناها في وجهها الرقيق املاً بأستجابته.

- احب كثيراً ان اذهب معك إلى هناك.

- لماذا؟.

مال قليلاً تجاهها وكانت عيناه جديتان وقال.

- هل تعتقدين بأن ديلكادو سيغضب من كونك معي وحيدة، وهل تبحثين عن عذر لعدم الزواج منه؟.

www.rewity.com/vb

ـ نعم... لقد بدأ يخيفني... وكأنه يعني ذلك.

عضت شفتيها وتمسكت بالسوار الذي يطوق معصمها وقالت.

ـ قانون الشرف بالنسبة اليه يعني الكثير جداً وله مكانه خاصة، وانا اعتقد بأنك حزرت انه لم يحصل بيننا شيء تلك الليلة على متن القطار.

ـ نعم، لقد تساءلت كثيراً

اجابها لويس في نبرة شبيهة بنبرة صوتها وقالت رومي.

ـ ولكنه اصّر ان يحضرني إلى هنا، كيف سأهرب من واقعي لويس، اذا ما تورطت اكثر مع هذه العائلة، كان هناك نوع من الحفاظ على الشرف الذي جلبني إلى هنا. انا اعرف انك اعز صديق بالنسبة للدون... ولكنني لا اتصورك ترغب بأن تراه مربوط بفتاة لا يحبها حسب القانون الاسباني.

بدا لويس يداعب ساق كأسه، ونظرة على وجهه الجاد والمفكر اعطت رومي بصيص امل في تجاوبه، لقد كان الشخص الوحيد هنا القادر على تخليصها، انه يقدر الدون كصديق ولكنه يعرف كم هو فخور بنفسه وكانت رومي تعرف بأنها سوف تقدم كعروس ما لم يساعدها احد وابتهلت للويس جاثير عبر عينيها الخضراوين الواسعتين ان يكون ذلك الشخص.

ـ خذني إلى الجزيرة يا لويس، دع الجميع يعتقدون بأنني... افضلك على الدون.

ـ ولكن ذلك قد يؤثر على صداقته لي.

ـ انا اكيدة انه لن يحصل ذلك، ان الدون يلعب لعبة التظاهر بالواقع. ويجب ان يحدث شيء قبل أن نقع في مصيدة الزواج الذي سيكون كارثة. انت تعرف كيف ان الاشياء تخرج من ايدينا احياناً، كيف ان خطوة خاطئة تقود إلى خطوة اخرى حتى نصل إلى نقطة اللارجوع، ساعدني لكي أمنع حدوث ذلك انا... انا اعرف انني اطلب الكثير منك ولكن لا يوجد شخص آخر لأساله المساعدة، اذا ما هربت بعيداً سوف يتبعني وانا لا اعرف البلاد

بشكل كاف، هناك طريقين امامي أما ان انقذ شرفه واما ان اهرب بطريقة ملائمة وعندها سيدعني اذهب... الفتاة الانكليزية التي لم تستطيع مقاومة اغراء صديقه.

تصنعت رومي ابتسامة واضافت.

ـ هناك اعتقاد يا لويس يقول بأن الفتاة الانكليزية غير قادرة على مقاومة رجل مثير.

ـ انا اعتقد سنيوريتا.

رفع كأسه النبيذ واضاف.

ـ اعتقد بأنك من نوعية الفتيات التي لا يهمها المظهر بل الحب.

ـ انت لطيف لقول ذلك سنيور.

ـ وانت حقيقة تريدينني ان اصحبك الى تلك الجزيرة البدائية الصغيرة... لاجعل كل شيء يبدو وكأنك تفضلين البقاء معي وحدك.

ـ انا احب رفقتك لويس، وكذلك لن يكون هناك غش.

ـ فقط ضربة لشرف الدون اليس كذلك؟.

ـ تماماً، كيف بأمكان رجل مثله في طريق حصوله على مركز سفير ان يقبل بعروس ذات غرائز جامحة.

نظر لويس برصانة إلى رومي وقال.

ـ انني احمل اعجاب كبير لديلكادو... هل انت اكيدة انه ليس مولعاً بك؟

ـ حتماً هو يلعب معي... كما تراه الآن يلاعب لوريتا.

نظر لويس إلى الدون عبر الطاوله... ونظر اليه حيث كان يمسك بأصغر عضوة في العائلة ويطعمها الحلوى ذات الطعم الشهي. كان شعرها اللامع يشع في مواجهة ياقة قميصه اللامعة. وابعدت رومي نظرها عن هذا المنظر، لقد كان اسبانياً، لذا فقد كان مولعاً بالاطفال... انه يريدهم عندما يتزوج. ولكن لا يجب ان يكونوا نتيجة خطوة خاطئة في اتخاذ قرار الزواج والذي اتخذ

www.rewity.com

في مقصورة في احدى ليالي القدر حيث خرج القطار عن سكته. كما عجلات هذا القطار كانت هي وهذا الرجل العظيم ضحية الاقدار...

عندما انتهى العشاء، رجع الراشدون إلى غرفة الجلوس لاحتساء القهوة. وقام احد الخدم بإشعال المدفأة وانعكست ومضات نارية على وجه الدون بينما كان يقرب صينية الكؤوس واخيراً توقف امام رومي وقال.

- تبدين شاحبة الليلة يا عزيزتي خلافاً للون الزمرد، خذي جربي هذا وحاولي ان تسترخي... انت عصبية كما في المرة الاولى للقائنا.

- ولكن لدي اسبابي، ردت وهي تكره الرجفة التي انتابت يديها وهي تمسك بكأس الشراب واضافت.

- انا لا اريد جواهرك... اذا ما كان قصدك ان تجعلني اشعر بأنني مخادعة تماماً.

- خداع يا عزيزتي!.

- نعم...

التقت عيناها بعينيه وهما تشتعلان بالثورة وصدرت ايماءة دفاع منها.

- انت لا تلعب لعبة عادية سنيور، ان هذه الاحجار الكريمة لم تكن ضمن اتفاقنا المزور.

- معظم النساء تحب المجوهرات، خاصة عندما تتلاءم هذه المجوهرات مع عيون لابستها. يجب ان تنظري إلى نفسك، انت تبدين بصعوبة فتاة اختارت ان تقضي حياتها بين جدران متحف.

- انت لن تغير مخططاتي دون ديلكادو.

ارتجف صوتها وهي تتكلم واضافت.

- انا اعرف انك تفعل كل ذلك كنوع من العقاب... مثل تحذير لعدم السفر وحيدة ثانية، انا لن اعتذر لشيء اشعر انني غير قادرة...

- كفى يا عزيزتي، سوف تعتقد عائلتي اننا نتجادل.

- انا اكرهك تماماً، انا احذرك...

- انا لم اكن لافعل لو كنت مكانك يا عزيزتي.

اطبقت جفونه، ثم ابتعد عنها، واقسمت بتصميم على ان تنزع هذه الثقة منه، كيف يجروه ان يتظاهر بأن له عليها حقوقاً مثل الحقوق المسموحة فقط داخل روابط الحب المعلن والرغبة المتبادلة في الاتحاد.

لهثت رومي من حدة الشراب الذي حرق حنجرتها واشعل النار في عروقها، قفزت على قدميها وكانت تنوي الخروج من هذه الغرفة، وجاء لويس فجأة وجلس بجانبها بينما كان يقبض على يدها.

- لا... انها ليست اللحظة المناسبة للهروب، انظري اثنان من الشباب سوف يعزفون على الغيتار... آه، يجب علينا ان نحظى بقليل من الرقص.

شعرت رومي بضعف في ساقيها نتيجة اتحاد الشراب واعصابها المتوترة، ارادت ان تميل بينما كارمنشيتا ذهبت إلى وسط الغرفة. تمسك تنورتها المزركشة بيديها وتظهر كعب حذائها القرمزي.

فلامنغو، مثير وشهواني، وفقط فتاة لاتينية قادرة على التمكن منه، وبرقت عيناها الحالكتان باتجاه الدون ديلكادو ولم تكن ترى احداً غيره في القاعة... ربما تناست رومي وفجأة تقدمت منها وخطفت يدها وابعدتها عن لويس وسحبتها إلى وسط الغرفة.

- ارقصي كما ارقص ايتها الانكليزية. تعالي. اريني اذا ما كان لديك روح ونار.

- دعيني اذهب.

صارعت رومي الفتاة وكانت يدا الفتاة تحت ابطها ورفعتها وكأنها دمية، وسمعت رومي ضحكات الحضور. كان ذلك اذلالاً لها بينما تقدم الدون منها وسحبها إلى خارج الغرفة وكأنه لن يستطيع الانتظار اكثر ليكون معها كان يضحك بينما صوت

www.rewity.com/vb

الموسيقى يتبعهم، وبعد ذلك اصبحوا وحدهم بقساوة كما كانوا تحت انظار كل العيون. اغلق الباب بقوة واصبحت وحيدة في معبده، مكان ذو جدران داكنة وغويا الرسام في الصور المنحوتة، وكذلك سيوف القتل المزخرفة، والكؤوس الذهبية التي تعود إلى ايام المصارعة.

عندما امسك بها كانت جاهزة لقتاله في اية لحظة.

- انا لست واحدة من الاعيبك.

ضربته بكلتا يديها على صدره، وعندما نظرت في البريق المتطاير من عينيه، فقدت كل سيطرة وصفعته على خده.

ضحك ضحكة خافتة، وكانت في صدد اعادة ما فعلته، عندما خطى برشاقة إلى الجانب الآخر. وتراجعت رومي لتنقذ نفسها. عندما طار شعرها وغطى وجهها اشتعلت عيناها الخضراوين وبرز جسدها النحيف كالسيوف المعلقة على الحائط... رمز قساوته.

الصمت مخيفاً، ذو تأثير مخدر وبعدها رجع صدى الموسيقى... لا حب كهذا الحب.

وتوقفت الريح حيث قال الدون.

- ربما تصغي إلى الموسيقى.

ناضلت رومي كي لا تنظر اليه.

- ماذا تريد مني؟.

قالتها رومي بلهجة آمرة واضافت.

- خضوع كامل قبل ان تسمح لي بالذهاب.

- الخضوع الكامل سوف يكون صعباً، لا يا عزيزتي، انني اتمتع بعراكنا.

- انت شيطان وانا لا اتمتع بما تقدمه لي.

ناضلت رومي لتفتح مشبك السوار ولكنه كان مغلقاً باحكام حول معصمها كما سلسلة السجين.

- ابعد هذه عني... انا لا اريد ان اضعها.

- لكي انزعها عليّ ان اقف قربك يا عزيزتي، ويبدو انك

تجدين قربي مكاناً لا يحتمل.

امسك الدون بذراعها بينما كان يدنو منها، وارتعش جسدها بينما كانت اصابعه تمتد لتلمس جلدها. ضغط على مشبك صغير جداً واصبح السوار محلولاً، سلسلة من النار الخضراء الحية بين يديه.

- هذه المجوهرات أنت كلياً من الادغال.

قالها بجدية ووضع السوار في درج مكتبه واضاف.

- والآن هل باستطاعتي ان انزع العقد؟.

- ارجوك.

ادارت ظهرها له ثم اصدرت صرخة خافتة من جراء ملمس يديه وضغط اصابعه عليها.

- اينها الفتاة الغبية، في كثير من الاوقات اشعر بك كطفلة حتى اصغر من كارمنشيتا.

حلّ الدون العقد ومن ثم جررها قائلاً.

- اذهبي، اركضي بعيداً إلى سريرك، واحلمي بأحلامك الطفولية الصغيرة.

سارت إلى الباب دون ان تنظر خلفها، متيقظة له واقفاً ممسكاً بالزمرد بين اصابعه كقطرات نار الادغال... حيث ما زال جلدها يحس بلمسة الاثنين.

www.rewity.com/vb

الفصل التاسع

خلال الايام القادمة لم يكن لدى رومي اية فرصة لترى لويس وحيداً. حيث كان الدون يقوم بجولة في الاقليم للتحدث مع المزارعين والاستماع إلى مشاكلهم وكان صديقه يرافقه، حيث كانوا يعودون متأخرين إلى المزرعة، يكسوهم الغبار والتعب. جاهزين فقط لحمام بارد، وكؤوس من الشراب المنعش، وكراسي طويلة للاسترخاء تحت ظل اشجار المشرفة.

كانت النغمة العميقة لاصواتهم وهم يتكلمون بالاسبانية تثير حفيظة رومي واستخلصت ان الرجلين كانا يتكلمان بشيء يخص صداقتهما واصبحت غير متأكدة من نجاح خطتها في الهروب. ولم يكن لديها اية فرصة لأن تحول صداقة لويس للدون، كل ما ارادته...

وصلت رومي إلى فناء بقرب الكنيسة، وجلست ترتاح على مقعد خشبي وضع تحت شجرة خوخ كبيرة، أمالت بقبعتها كما يفعل رعاة المكسيك متجنبة اسم الدون الذي يجتاح فكرها، تباً له يتطفل على تفكيرها ويحيرها. اغلقت عينيها بإحكام، ولكن كان هناك وجهه الساطع جداً إلى درجة انه جعل جفون عينيها تفتح تلقائياً لتأكد لنفسها بأنه لم يظهر بكل طوله وسمرته، هناك

مواجها للشمس ينظر اليها بعينين هازئتين. لا... لقد كانت وحيدة تماماً.

لماذا لا يمكنها ان تهرب من سجنها حتى ولو في افكارها فقط؟ نعم ان المزرعة كانت مكاناً مثالياً في الروعة والعظمة مظللة بالقرميد العتيق والدوالي الكبيرة... قال الدون بأن الحب هو فقط كلمة طريفة تستعمل للتعبير عن الحب لاغنية او لرداء او لمنظر معين، وبالعودة إلى اوقاتنا باي عرفت وبدون ادنى شك بأن الدموع التي تركتها وسكبتها على الشاطىء حيث وقفت بثوب الاشبينة كانت دموع كاذبة. لقد هربت بعيداً ليس بسبب قلبها المكسور... لقد تركت بريستول دون اعطاء لانس اية فكرة... وعندما حاولت ان تتذكر وجهه واجهت صعوبة في ذلك مع انه عاش معها منذ سن الطفولة.

وصلت إلى الاسطبلات ودخلت حيث تركت ديكويزا، فوجدته خالياً حدقت رومي وشعرت بوخزة خوف وبسرعة نظرت في الاسطبلات كان صبي الاسطبل يأخذ قيلولته حيث دخل شخص ما إلى الاسطبل وسرق دوكويزا افضل حصان في الاقليم.

- آه يا امي.

قالها الصبي بتأوه وقالت رومي بدورها.

- آه يا آلهي.

جلست رومي على حجر قريب ورفعت قبعتها عن وجهها الابيض، وانزلق شعرها على كتفيها بينما كان الصبي يحدق فيها بتعجب ويقول.

- سنيوريتا!

استوضح بينما كان ينظر إلى بنطالها ورجع ثانية إلى النظر في وجهها، اذا ما كان الوضع مختلفاً عما كان عليه الآن لكانت ضحكت رومي من تعابير وجه الصبي المكسيكي وقالت.

- ماذا ستفعل يا عزيزي؟ هل هناك اي مركز للشرطة...

بحثت رومي عن الكلمات المكسيكية وجعلته يفهم بإمكانه هز رأسه،

www.rewity.com/vb

ان المكان صغير جدا لوجود مركز للشرطة.

- اذاً ماذا...؟.

- الاب...

امسك الصبي بيدها، وركضت معه إلى بيت الكاهن المحلي، وصلّت رومي ان يتمكن من التحدث معها باللغة الانكليزية وان يقدم لهم شيئاً من المساعدة، ان الدون سوف يعاقبها لتركها دوكويزا... ولكنها لم تتصور ابداً بأن شيء كهذا ممكن ان يحصل. لقد زارت القرية قبلاً... نعم، ولكن في رفقة لويس وتيو ايسيدرو، انهم ينتمون لهذه البلاد بينما هي غريبة عنها.

وصلت رومي والصبي المكسيكي ونفسهم يتقطع من جراء الركض وتوقفوا امام بوابة كبيرة من الحديد وصرخ الولد ينادي.

- يا ابتاه. هناك شخص يريدك، لحظة من فضلك.

وقدرت رومي من لهجة الصبي بأن الكاهن كان يأخذ قيلولته وكانوا يزعجون في تصرفهم هذا الشعائر الدينية، وبعد لحظات فتح الباب ووقف هناك رجل في ثياب كاهن واضعاً قبعة من القش على رأسه.

- كارلوس!.

استوضح الكاهن قائلاً.

- من حضر يا عزيزي. من انت؟.

شرح الطفل بسرعة ما حصل مع ايماءات واشارات عديدة حيث قال الكاهن.

- يا آلهي.

حدق الكاهن في وجه رومي ورفع قبعته القش وقال.

- يوم سعيد، سنيوريتا، ان الصبي يخبرني بأنك زائرة اميركية في المنطقة وبأن فرسك سرقت من الاسطبل، اليس كذلك.

- نعم يا ابتي ما عدا انني لست سوى زائرة انكليزية.

كانت رومي سعيدة لأنها وجدت من يتكلم لغتها واضافت.

- انني باقية في مزرعة وادي الشمس، ولقد اتيت إلى هنا اليوم على ظهر الفرس ملك الدون، وعندما رجعت إلى الاسطبل لاستعادتها، لم اجدها هناك، ان هذا الحيوان ذو قيمة كبيرة يا ابتي، وصبي الاسطبل اخبرني بأنه لا يوجد مركز للشرطة في الوادي... ارجوا ان تستطيع

مساعدتي.

- اولا سنيوريتا، يجب ان تتقدمي إلى حديقتي وتجلسي على كرسي، لقد توقف تنفسك من كثرة الركض... تعالي اجلسي وسوف اوصي برسالة لأبعثها إلى المزرعة.

- اوه...

ارتسمت نظرة رعب في وجه الفتاة وقالت.

- ليتنا نستطيع القيام بالاستعلام اولاً قبل اعلام الدون بأن ديكويزا مفقودة، انني اني انها ربما تكون قد اعيدت لاحدى الاشخاص وربما يكون قد اعادها الآن، وهؤلاء في المزرعة سوف يقلقون من اجل لا شيء.

- ارى بأنك قلقة سنيوريتا.

كانت نظرة الكاهن نظرة عطف نحو وجه الفتاة القلق واضاف.

- حسناً، سوف ارسل خادمي كارلوس ليقوم بالاستعلامات، ولكن اذا ما تأكدنا من فقدان الفرس فسوف نخبر الدون ديلكادو، فهو سوف يتصل بالمزرعة هاتفياً بينما انا لا، كما ترين.

- انت لطيف جداً.

ابتسمت رومي وتنفست بشكل طبيعي وقالت.

- ما زال هناك امل بايجاد ديكويزا، قبل أن يصبح من الضروري اعلام الدون ديلكادو بذلك واقلاقه.

خافت رومي من غضبه وعندما فكرت ملياً بذلك احست بوهن شديد في قدميها. كانت المشاكل تنزل على كتفيها منذ قدومها إلى المكسيك... عين الشيطان كما سمّاها الدون.

جلس الكاهن في الكرسي المقابل لها.

- ارى بأنك بحاجة للاسترخاء بعد صدمتك هذه. هل تسمحين لي بتدخين الغليون.

- طبعاً يا ابتي.

راقبته بينما كان يشعل غليونه ذو الطراز القديم وينفث الدخان القوي... افترضت انه عرفها اكثر من بقية القرويين، فهو لم يلتقها قبلاً. ولكنه لا شك عرف بأنها الفتاة الانكليزية التي سيتزوجها الدون. ومن المؤكد فكر عند ذلك انه لمن الغريب ان تخاف منه والذي يفترض بها ان

www.ewity.com.sy

تكون واقعة في حبه... ام ان تصرفها بدا طبيعياً بالنسبة له؟ جزء طبيعي من المغازلة الاسبانية بأن يقدم الاسباني لخطيبته فرس فضي لتمتطيه وليوبخها فيما بعد عندما تفقده.

- لقد سمعت عني، اليس كذلك يا ابتي؟.

- نعم، سمعت بأن هناك فتاة ذات شعر ملون في مزرعة الدون، وعرفتك عندما رأيتك... ولكنني محتار من بعدك عدة اميال عن المزرعة ووحيدة ايضاً، انه ليس...؟.

- ربما.

همهمت رومي.

- ولكنك انكليزية، لذا فمن المؤكد...

- انا افترض الاشياء الغير مناسبة.

نفخ غليونه وراقبها من خلال عيونه السوداء بينما كانت رومي تلعب بكأس الشراب.

- انا لست عجوزاً جداً، ولست قاس في آرائي، لعدم فهمي لحماقات فتاة صغيرة، في اي حال ان الجنس البشري غامض، وله قدر عجيب.

- انتم اللاتينيون تؤمنون بالقدر كثيراً يا ابتي.

- ولما لا، اذا لم تكن وجهتك اليوم في هذه الطريق لما كنت قد فقدت الفرس، ولما كنت تتساءلين بعصبية ما ستكون ردة فعل خطيبك.

ابتسم الاب سابيو.

- لقد اذيت يدك سنيوريتا!.

امسك الاب سابيو يدها وبدأ يتفحص الجرح فيها وقال.

- انها لسعة وتحتاج إلى قليل من الصودا لتخفيف الورم والوجع، سوف ابحث عنها في غرفتي.

- انت لطيف جداً...

- انني مسرور لأنني قادر على المساعدة في مسألة كهذه يا طفلتي، انا لست اكيداً بالنسبة للفرس، في ايام السوق لدينا جميع الانواع داخل وخارج القرية واذا لم تكن لدينا القدرة على... على اية حال، سوف نتأمل خيراً، ولكن اذا ما رجع كارلوس فارغ اليدين...

كان الوقت يمر، وخافت من اللحظة التي سوف يأتي فيها الدون وهو يسير بخطوات واسعة عبر الباب، ويبدو كالعاصفة الحاضرة لأن تهزها

حتى آخر نفس من روحها.

جلست على حافة بركة السمك، ولفت ذراعيها حول نفسها مثل العصفور عندما يلف جناحيه، هب النسيم من خلال الاشجار، ورقرقت المياه حيث لمعت الوان الاسماك الحمراء والذهبية ولعبت بالقرب من يد رومي العارية.

وبعد احضار الصودا ليدها، استأذن الكاهن سابيو من اجل الصلاة في الكنيسة الصغيرة، ورجع كارلوس ومعه القليل من المعلومات ومنها ان هناك امرأة سمعت وقت قيلولة النهار صوت حوافر فرس تحت نافذتها، وكذلك جرس اللجام وكان ذلك حوالي الساعة الثالثة. وقت قليل قبل وصول رومي إلى الاسطبل حيث وجدت الفرس مفقودة.

- يجب علي الآن ان ارسل رسالة للدون ديلكادو.

قال ذلك الاب سابيو بلهجة جادة ولكن بلطف واضاف.

- هل انت خائفة منه إلى هذه الدرجة يا طفلتي.

- انا... انا يبدو انني اقوم بالعمل الخاطىء دائماً يا ابتي، انا مشهورة، وهذا ما سوف يفقده صوابه.

- لا يوجد انسان على صورة ملاك، وربما تتوقعين ذلك منه، ان يكون قديساً بينما على العكس من ذلك فهو رجل بكل ما للكلمة من معنى واسباني اصيل ويحترم نفسه كثيراً.

- كيف هو اسباني؟.

كان عليها ان تبتسم بينما كانت تداوي اللسعة بالصودا واضافت.

- وانا انكليزية وليس بأمكاننا ان نفهم بعضنا.

- ربما ستجدين يا طفلتي بأننا نحن اللاتينيون، نسلم إلى الواقع بأن النساء يعانون من الطرق الغامضة ويبدون انهم يتمتعون بذلك دائماً.

نظرت اليه نظرة المصدومة وقالت.

- كيف بأمكانك ان تقول بأن نتمتع كوننا نتعذب.

- عندما نتأذى وعندما نفرح فأننا نكون متيقظين اكثر من اي وقت نكون فيه احياء. النساء هم في الطبيعة اكثر حساسية ونتيجة لذلك فهم يشعرون بكل شيء اكثر حدة. والآن سوف اتركك بعناية كارلوس، الذي سوف يطبخ لك وجبة ويتأكد من حصولك على كل ما تحتاجين.

جلست وحيدة في غرفة الجلوس التابعة للاب سابيو. في هذا الوقت

www.rewity.com/vb

يكونوا قد عرفوا في المزرعة اين هي وقريبا سوف يصل احدهم ليأخذها لتواجه غضب الدون. وفي سكون الليل سمعت صوت عجلات سيارة ما تقف بالقرب من الباب، كان الباب مفتوحاً من اجل الداعي الذي جاء يبحث عنها، وضعت يديها في جيب سروالها، ونزلت إلى الحديقة لتقابل سائق السيارة وقلبها يدق بقوة.

الفصل العاشر

التقت عيناهما في ضوء مصابيح السيارة، وكانت رومي متوترة الأعصاب ومتأكدة من انها سوف تنفجر بالبكاء اذا ما لمسها، تأملت ان يكون مشغولاً طوال اليوم ليرسل شخصاً غيره لاحضارها، ولكن ها هو، وكان يعاقبها بحضوره حتى قبل ان ينطق بكلمة واحدة.

وقفت هناك وكان الصمت عميقاً وساحقاً بينما كانت تنتظره ليؤنبها واجهها الدون، داكن وطويل وكان سيداً للموقف لا يحسد ولا يوصف، كما كان في القطار تلك الليلة عندما اصرَّ ان تصحبه الى الوادي لأن هكذا فضيحة لم يكن ليتساهل بها.

بدا وكأن لحظة ابدية انقضت عندما دار ووصل الى السيارة ليحضر شيئاً ما، منذ البداية اعتقدت رومي انه يبحث عن سوطه وقالت

ـ انا الوم نفسي كثيراً عما حصل...

تكلمت رومي ثم اضافت.

ـ انها غلطتي انا كلياً... انا اردت ان اكتشف الوادي الذي اثار مخيلتي عندما احضرني لويس إلى هنا الاسبوع الماضي، وانا تركت ديكويزا في الاسطبل المعروف وكأنها حصان عادي. انا آسفة. انني حقاً متأسفة... وانا استحق توبيخ وتعنيف على ما فعلته.

ـ انت تستحقين صفعة... وسوف تتلقينها، لقد عادت ديكويزا إلى الاسطبل وحدها، تجر لجامها وكذلك عطشها وحوافرها تأذت لمسافة من

www.ewity.com/vb

الاميال الطويلة بسبب الاهمال او سوء الاستعمال، انت اهملت سرج الفرس جيداً.

حدقت رومي فيه ثم جلست على غطاء السيارة وقالت.

- شكراً للسماء، لقد كنت قلقة وخائفة.

- مني؟.

رفع احد حاجبيه الاسودين وتقدم خطوة منها حيث قالت له.

- نـ... نعم.

ضغطت نفسها على الجسم الفولاذي للسيارة وتساءلت في رعب عن ماهية عقابه لسماحها لفرسه الجميلة بأن تترك بين يدي صبي الاسطبل المكسيكي. لقد تركت للصبي ديكويزا دون ان تسرجها، مشتاقة لكي تنسى نفسها ومشاكلها في السوق المزدحم والمزدهر بالالوان، لقد دفعت من اجل الفرس لتصبح مريحة... لا، لا يوجد عذر لما قامت به، ديكويزا يمكن ان تكون قد سرقت بسهولة، انها تستحق تلك النظرة في عيني الدون، واذعنت ليديه التي امسكتها، ربما كان صحيحاً ما قاله الاب سابيو بأن النساء يتمتعن بعذابهن.

ما زالت يديه تحتويانها، وبدت ضعيفة، عندما توقف الصبي امام اضواء السيارة والذي بعثر الظلام من حولهم، وكان معدل نبضات قلبها واضحاً له، بينما كانت اصابعه تلتمس حنجرتها وثبت معطف حول كتفيها وكان قد اخذه من السيارة.

- هناك، ربما الآن ستتوقفين عن الارتجاف.

ولمست اصابعه القميص الحريري التي ترتديه رومي وقال.

- لا عجب انكم انتم النساء تخافون من الرجال عندما تكون ثيابكم على هذه الشاكلة.

- انا... انا ارتدي هذا فقط لامتطاء الفرس...

- بدون قبعة؟.

- اوه... لا بد انني تركتها في بيت الاب سابيو.

- سوف ابحث عنها، ادخلي إلى السيارة وانتظريني.

فعلت رومي بما قاله لها، وتكومت فيها، وكانت ما تزال تهتز قليلاً من جراء رؤيته. كان من المريح ان تعرف ان ديكويزا بخير ولكن رومي كانت متأكدة بأنه لن يدعها بعد كلمات قليلة. وكان يسابق وقته ينتظر اللحظة

لمفاجاتها دون وعي، وعندما سمعته يرجع إلى السيارة ابقت نظرها مركزاً على يافطة ما، وانضم اليها وجلس على الجانب المقابل لها، رمى قبعتها إلى المقعد الخلفي، اغلق الباب وادار المحرك ورجع إلى الدرب الذي يقود إلى الشريان الرئيسي للوادي، واصبحت السيارة دافئة بينما استجاب المحرك بسرعة للمسته الخبيرة.

وبعد لحظات كان يسير عبر سهول الساڤانا على طول الطريق التي تقود إلى مزرعة وادي الشمس.

- انني سعيد انك ذهبت إلى بيت الاب سابيو.

قال الدون ذلك بعد قلق محير فقالت رومي.

- انت لا تتخيل انني حاولت السير إلى المزرعة سيراً على الاقدام؟..

نظرت اليه ورأت جانب وجهه مقطباً ويبدو منعزلاً في ضوء السيارة الخافت، كان باستطاعتها ان تعرف انه يخفي مزاجه، ولكنها لم تسأله لن يقود كل الطريق ليبحث عنها، كان بامكانه ان يرسل السائق.

- اعتقد بأنك افترضت انك سوف تجدين شخصاً ما يقودك في الاتجاه المعاكس.

- لم يكن لدي المال الكافي...

- ماذا يا عزيزتي، هل تخاطرين بصراع مع مكسيكي لجوج، ان ذلك ممكن ان يحصل مع فتاة ترتدي مثلك.

- انا... انا كنت مأخوذة في مناظر السوق، وصدقني كنت سعيدة ان اركب حتى عربة يجرها حمار... اي شيء لاهرب منك.

- لديك ديكويزا تحت تصرفك، قبل ان تتركيها لتضل طريقها إلى المزرعة.

- ان الفرس لك سنيور، وانا لن اسرقها، وانت تعرف تماماً انني لا اعرف البلاد جيداً لاجد طريقي إلى اكزريكا بدون ان اضيع تماماً.

- اكزريكا، حيث يوجد مطار للهروب إلى انكلترا وإلى البيت آه؟.

هل اقودك إلى هناك الآن، اضعك في الطائرة واتخلص منك؟

لم تستطع رومي ان تبعد نظرها عنه وقالت.

- هل ستفعل ذلك؟ انا لا استطيع ان ارى الحقيقة.

وبقدر ما ارادت ان تبوح بها، ولكن شيئاً ما منعها من ذلك... فكرت بذلك واضافت.

www.rewity.com

- ارى بانك تهزء بي، وتلعب احدى الاعيبك المراوغة، تبني لي آمالي فقط لتهدمها فيما بعد.

- كم انت تعريفيتي ولكن النساء وجدانيات تجاه الرجال ودافعهم، اليس كذلك؟.

- ان تهكمك لا يطاق لقد عرفت منذ رأيتك الليلة بأنك لا تستطيع ان تقاوم تعنيفي لتثبت لي كم انا انسانة عاجزة... انا في المقارنة مع الفتاة اللاتينية التي لا مثيل لها. اني احتاج إلى من يرعاني في رأيك وانا للأسف ليس لدي شخص ليفعل ذلك، ايه؟.

- انت فرس صغيرة، وغير قادرة وليس لديك القدرة كالفرس التي دربتها على ايجاد طريق القصر دائماً.

- طبعاً انا بالنسبة لك كالفرس تماماً ولكنني لست كالحمامة.

- انا موافق يا عزيزتي انك اكثر من اوزة.

- والوزة معروفة انها تخضع للنسر دائماً.

- وليس للتكبر عليه.

- سنرى، سنيور.

جلست رومي بعيدة عنه قدر ما استطاعت، تلف نفسها في الوشاح الذي قدمه لها، هل كان فعلاً لا يطاق لأنه وصفها بالطفلة والاوزة.

ضحك الدون فجأة وكانت ضحكته مثل السوط على اعصابها المتوترة وشعرت بأعصابها تحترق وقالت.

- اتمنى لو كان لويس قدم لاصطحابي.

قالت ذلك بمرارة واضافت.

- ان له طبيعة افضل من التي تحملها انت ومشاعر اكثر انسانية من مشاعرك التي تظهرها، وهو لاحظ اني يائسة وفي وضع حرج، وحاول ان يكون الطف منك.

- انت تريدين اثبات... للطف؟.

وفي لحظات داس على الفرامل وتوقفت السيارة في وسط

الجسر الذي يطل على البحيرة وامتدت مياه البحيرة تحتهم، عميقة وداكنة كالعيون الاسبانية، بينما امسكها الدون بيديه وشفاهه اسكتت الصرخة التي كانت ستنطلق منها، يديه والوشاح سجناها، وكانت عاجزة على مقاومة قبلاته كانت في كل مكان تغلق عيناها، دافئة تحي كل عرق كل نبض من نبضاتها وكذلك اذنيها، هجمة لا ترحم من الاحاسيس والتي لم تعرف الى الآن انها تمتلكها.

- لا...

حاولت ان تبعد رأسها بعيداً، وعلقت يدها في خصلة من خصلات شعرها وعرفت انها سوف تتألم اذا ما ابتعدت عنه وكان يهمس بكلمات اعتقدت انها قد تكون كلمات حب اسبانية.

- كادو... ارجوك...

واصبح في الحال ساكناً، يلفها بأحدى يديه البرونزيتين، وكانت ذراعه الاخرى ضائعة بين حرير شعرها، وهكذا لن تستطيع الهروب من نظرته على شفتيها الحمراوين، عينيها الخضراوين وجسدها الرشيق.

- لا تفعل.

قالت محتجة واضافت.

- لا تلومني دائماً على ما حصل على متن القطار تلك الليلة. انا ليس لي يد في انها امطرت، او انني قمت بتعويذة ما، انت من دخل إلى مقصورتي خطأ، انا... انا اتمنى من كل قلبي لو لم آتي إلى المكسيك ابداً... ان هذا المكان سبب لي الكثير من المشاكل، ولا اريد المزيد منها.

وتجمعت الدموع في عينيها للحظة. حتى طفرت وانزلقت على خديها وقالت.

- دعني اذهب بعيداً، وبعدها ننسى كلياً ما حصل، ويمكنك عندها ان تتزوج كارمنشيتا.

- انا لا اتلقى الاوامر من امرأة.

مال برأسه ومسح بشفتيه الدموع عن وجهها واضاف.

www.rewity.com/vb

ـ انا بعيد جدا عن كوني طاغية، كما تقولين، لاحررك من حياتي، سوف نتزوج ولا يهم ابداً ما تقولين.

ـ لا تستطيع ان تجبرني على الزواج منك، لن اقبل، فقط من اجل انقاذ سمعة وفضيحة لم تحدث اصلاً.

ـ وما رأيك ما اذا كان هناك فضيحة؟ واحدة حقيقية يا عزيزتي، انني امسك بك تحت رحمتي وبأستطاعتي ان اقوم بما اريد وافرح بذلك، واذا ما حاولت ان تفتحي الباب الذي بجانبك فسوف تقعين في البحيرة، وسوف ارى نفسي مضطراً للغوص وارءك حيث ان وسط البحيرة بالغ العمق، وممكن ان نغرق كلينا، آه، الحب الخالد، الا يبدو ذلك رومنطيقياً يا عزيزتي؟.

ـ بل جنونا يا كادو... انا اعني سنيور، ارجوك كن مسؤولاً.

ـ انا مسؤول تماماً، لقد اتيت بك إلى المزرعة لاتزوجك، وهذا ما انوي ان افعله.

ـ ولكن كل هذا... كذب، ان الناس تتزوج فقط عندما تحب بعضها.

تحرك آلياً عندما اشتدت عليها قبضته وجعلتها اسيرة لديه.

ـ انت تعرف انني اكرهك.

ـ سيكون من دواعي سروري ان اعلمك لكي تقدمي لي عكس ذلك.

ـ ان ذلك لنموذج من تكبرك.

ـ ولكنك تضيّع وقتك معي، ان التلميذ ليس بأمكانه ان يتعلم اذا لم يكن يحمل الرغبة لذلك، لا يهم كم يكون المعلم خبيراً... وانا اكيدة انك خبير حيث كنت مصارع ثيران معبود، انني اعتقد بأنهم يكونون ذو سمعة سيئة مع كل فتاة ترمي لهم وروداً.

ـ انت تلمحين الى اشارات خطيرة يا عزيزتي، ودعيني اذكرك ثانية اننا معزولين تماماً وانا كذلك عديم الرحمة.

تكلم وهو قريب من اذنيها واضاف.

ـ انت تعتبرينني قاس القلب، اليس كذلك، لذا ماذا سأخسر اذا ما علمتك درس في الحب هنا والآن.

ـ حب.

تمنت ان تكون قادرة على التحكم بنبرة صوتها والتي لم تستطع السيطرة عليها.

ـ ان افكاري عن الحب هي بعيدة عن افكارك... كالشمس بالنسبة للقمر.

ـ الا تعرفين انه في اساطيرنا القديمة، الشمس والقمر احباب.

ـ حتماً هم كذلك في اسطورتك انت!.

ـ هل تعتبرين الحب اذاً كواجهة لعرض الدلال وهمس الكلمات الحنونة.

ـ انا... انا آمل ان لا تكون بوحشية شمسك.

جلست بتيبس بين ذراعيه وأملت ان لا يقبلها ثانية، وكان كل عصب وكل عظام جسدها تهتز من جراء تذكر لمساته وقبلاته الحارة، وبدأت تأن داخل ذراعيه وبدا انه يتمتع بذلك، وكان ذلك في طبيعته ان يتمتع كونه قاسي معها.

ـ ان الاشياء الرقيقة الناعمة ليست دائماً مثيرة يا عزيزتي. ككل الاشياء البدائية، مثل الملوك التي تحكم بواسطة السيوف، وتجعل الحدائق كجواهر، الصبير او كما نسميه نحن، الزهرة البرية التي تحوي الماء لانسان ضائع في الصحراء، والحياة كما تعرفين تكون مملة ومظلمة اذا لم نعيشها بالخطر والمغامرة، اذا ما عرفنا كل ما يختفي وراء كل زاوية... وما يوجد داخل قلب غريب.

امال ذقنها بأصابعه القاسية، واجبرها على ان تنظر اليه، وبدا الاثنان في ذلك كأنهما فوق الجسر، مثل حشرة تتعلق بحافة كأس ماء.

ـ اذا ما كنت تعلمين فتاة تحب كل شيء ان يكون انيقاً وجميلاً، فأنك لن تعرفي ميراث جدتك في رحلة إلى براري المكسيك يا

www.rewity.com

عزيزتي.

- ذلك يثير اعصابك، اليس كذلك، سنيور، ان ذلك موجود في كل جذور خلافاتنا الصغيرة، طبيعتك الاسبانية الاستبدادية التي لا تبيح لنفسها التفكير بفتاة قادرة على العناية بنفسها.

- وهل بأستطاعتك انت.

قال ذلك واضاف.

- انت تنسظرين إلى العالم بعينين واسعتين بريئتين. اليس كذلك؟ طفلة في الادغال، متيقظة ولكن بصعوبة لما في هذه الحياة من مفاجآت، ولماذا يجد الرجال والنساء انفسهم مرتبطين هكذا، فجأة، لقد كانت عيناك التي لاحظتها في ذلك اليوم في مكسيكو سيتي، ثم جاء المطر، وربما يد ملاك او شيطان هي التي قادتني إلى مقصورة نومك.

- انا... انا اكيدة انها كانت يد الشيطان.

قالت رومي ذلك وهي تتحداه، والعقد لعروس افرادوز يلمع في عنقها واحكم يديه عليها وشعرت بالقدرة التي ستحطم جسدها حطمت مقاومتها على القطار، والآن اذا ما قاومت فسوف يقبلها تلك القبل التي جعلت رأسها يدور حتى يتوقف عقلها عن التفكير، ويجعلها خاضعة لزواج سوف تدرك اخطاؤه فيما بعد.

وانتابتها غريزة الانوثة مما جعلها تترك نفسها مسترخية بين ذراعيه تسمح لعينها بأن تغفو وهي مستمتعة بذلك.

- روموﻻ!.

- اثار تنفسه احاسيسها بقوة واضاف.

- الطفلة المسكينة، تبدين وكأنك عارية، لقيطة الليل في يدي شيطان لا تميلين اليه.

وارجعها إلى المقعد، وبعد لحظات شعرت بدوران المحرك، وعبرت السيارة الجسر وبقيت لهجة ورنة صوته عالقة في راسها، ما يسميه لقيطة الليل، هي لقيطة لايمكن ان تتزوجه، ولا يفهم ما يفعله او يقوله او يجبرها عليه، لديها كبرياءها، وكبرياءها يرفض

هذا الزواج، حيث ستنمو جذوره ويصبح مراً عندما يصبح الدون سفيراً ولا يبدو على امرأته انها لاتينية، او تتصرف كواحدة منهم، جميلة، خاضعة، وحادة الطباع فوق كل ذلك.

كانت المصابيح التي تتدلى من فناء القصر الخارجي مضاءة، وكذلك على طول الشرفة، وكان أعضاء العائلة مجتمعين بانتظار وصول الدون ديلكادو وخطيبته الضائعة، وعندما وصلت السيارة التفوا حولها وكانت عيون لويس تعبر عن تعثر رومي ونظر في عينيها قارئاً رسالة توسلها وساعدها في الدخول الى القصر بحزم مما أثار فضول وقلق عماته.

- أريد فقط ان اذهب الى غرفتي لويس، انني مرهقة جداً.

وبطريقة ما أدركت رغبتها وعندما اصبحت وحيدة أخيراً، غرقت في نعومة سريرها وجعلت جسدها يرتاح أخيراً من الساعات الماضية، آه انه من الجميل ان تكون هنا، مع الأحداث المضطربة لليوم وكانت على وشك الاستعداد للنوم عندما اشتمت رائحة اللوبياء الخضراء والبهارات وكذلك القهوة الطازجة تثير حفيظتها.

لم تسمع الباب يفتح ولكنها عندما ادارت رأسها رأت الدونا دولوريس تقف قرب سريرها. جلست رومي وأبعدت شعرها الأشقر عن عينيها. لم يكن لديها ادنى فكرة كم كان مظهرها بريئاً، كم هي بريئة في هذا السرير الاسباني الضخم، طفلتي المسكينة، لقد مررت بوقت عصيب، ديلكادو اخبرني، دعيني اجلب لك فنجان من القهوة وبعدئذ عندما تأخذين قسطاً من الراحة، يمكنك تناول عشاؤك على الصينية هنا في غرفتك.

- سيكون ذلك جيداً، سنيورا، استطيع النزول اذا كنت تفضلين...

- لا، لا أبداً.

وبعدها وصل فنجان قهوة لذيذ الى رومي، وهو مصنوع من القهوة التي تزرع في الوادي، وفوجئت رومي بطعمه بينما كانت

www.rewity.com

ترتشفه.

جلست الدونا دولوريس على حافة السرير وكانت عيناها تتفحصان وجه رومي الشاحب، ويدها الرشيقة تلعب بسلسلة قديمة معلقة على ثوبها الحرير. وقالت.

- عندما رجعت الفرس بدونك، قلقنا كثيراً هنا في المزرعة، واعتقدنا بأنك سقطت عن ظهر الفرس.

حدقت رومي في المرأة التي لديها كل الأسباب لتتمنى عدم انسجامها مع الدون، وبدا في عينيها اهتمام عفوي، ولكن رومي لم تجرؤ ان تصدق بأن والدة الدون تشعر بنوع من العاطفة نحوها. وهي الفتاة التي مزقت خططها لتحقيق اتحاد بين كارمنشيتا وابنها، ان تجمع اقدم عائلتين في الاقليم كله.

- انا آسفة لانني سببت كثيراً من القلق.

امسكت رومي فنجان قهوتها ولكنه لم يكن الوقت التي تستطيع فيها العائلة التخلص منها تماماً، وهكذا ترتيب لا يوافق سوى فتاة لاتينية، ولكن رومي كانت حساسة جداً لمجرد التفكير انها تحت أمرة احدهم.

- نحن لم نتكلم مع بعض منذ مدة يا رومولا، وانا اريدك ان تشعري وكأنك في بيتك معنا، ولقد اشرت إلى انك تبدين غريبة عنا بعض الشيء كما نقول، ولكن ذلك طبيعي لفترة من الوقت، ان لوادينا طريقة ماكرة في سحر القلوب، منذ سنين مضت وقبل ولادة كادو، لم اكن سعيدة هنا كنت صغيرة، وعنيدة... هل تصدقين ذلك؟.

راقبت رومي المرأة التي انجبت رجل عظيم، وفخور، الفضة في معابدها وكأنها مرسومة هناك، العينين المعبرتين، خليط من التسامح مع ظلال وعادات لاتينية لا تحتمل. لقد هربت مع والد ديلكادو ولأن الزواج كان عاصفاً، فهي الان تؤمن بالزواج المرتب. كل ذلك مفهوم، وكانت ابتسامتها رقيقة وعند ذلك قالت رومي.

- انا اعتقد، ان تكوني صغيرة يعني ان تكوني مؤثرة وعلى حافة المتاعب، لا بد انك كنت صغيرة عندما تزوجت سنيورا؟.

ظهرت ابتسامة رقيقة على وجه الدونا الناعم، وبدا وكأن عينيها تمسكان بذكريات مضت لحب متوحش ولكن غير سعيد والذي عاشته مع زوجها.

- لقد كنت صغيرة جداً، لا اعرف شيئاً عن الرجال، ورامون كانت له طرقه، هنا في ادغال المكسيك، وانا كنت معتادة على حياة دير الراهبات، وقد جاء رامون إلى زيارة في جنوب اسبانيا، لقد كان يشتري الثيران لمزرعته، وكان ابي يملك افضلها، وتقابلنا ووقعنا في الحب بجنون... اصبحت الفتاة خارج الدير والدون المتكبر الذي ينحدر من خط طويل من المستعمرين الاسبان مع مسحة من دم الازتيك تجري في عروقه. وعرفت حينها انني اعني لرجل ما اختاره لي ابي الكثير، وكان اكبر مني بكثير وذو طبيعة مناقضة لي، وانا اردت رامون لذا هربت معه إلى المكسيك.

قبضت اصابع السنيورا بقساوة على السلسلة الاسبانية ولم تستطع رومي ان تفعل شيئا سوى التساؤل اذا ما كان لديها صورة صغيرة لذلك الرجل الشاب الذي لم تستطيع مقاومته.

- لقد تركت رامون بعد ستة اشهر على زواجنا، وان ذلك لامر جدي ان تترك فتاة لاتينية زوجها... ولذلك عليّ ان اتأكد ان ديلكادو لا يقوم بخطأ بأستقدامه فتاة من اجل ارضاء دوافعه فقط.

- ولكن انا اعرف.

ضرب قلب رومي بسرعة فقالت رومي.

- انها قضية معقدة، وهو لا يستطيع ان يتغاضى عن فضيحة وخصوصاً في وضعه.

- هل مارس... الحب معك؟.

كان رأس الدونا يتحرك برقة على رقبتها بينما كانت تسألها هذا السؤال ولكن عينيها كانت تتألم وكأنها لم ترد ان تؤذي رومي او

www.rewity.com

تحرجها.

شعرت رومي بقبلاته في السيارة، الحازمة والمعاقبة، وعرفت انه ليس ذلك النوع من الحب الذي ضمنته والدته.

هزت رأسها وسمعت همسة ارتياح تصدر عن شفاه الدونا، قامت على قدميها وتركت اصابعها السلسلة وقالت.

- انني سعيدة اننا تحدثنا يا رومونا ويبدو الجو اوضح بيننا الآن ونحن اكثر تقارباً.

- نعم.

اجابت رومي، وبدت شابة وهي في السرير القرمذي وارادت ان تقول بأنه لا داعي لخوف الدونا من زواج آخر محطم في العائلة ولكن الكلمات وحدها لن تقنعها.

ذات يوم ستفر مع لويس إلى جزيرة البحيرة الغامضة. إلى حيث لا يذهب الهنود، ان ذلك سيهز حتماً كبرياء الدون لاحضارها إلى هنا معه.

- اكذريكا. ومطارها للهروب إلى انكلترا، إلى الوطن.

تذكرت رومي كلمات الدون وقالت بهمس، الوطن، بينما كان باب غرفتها يغلق وراء صورة الدونا الدقيقة ونسيم الليل يحرك الدالية المزهرة التي زحفت من الحديقة إلى الجانب الايمن من شرفتها، حية وعطرة.

غرفتها في انكلترا بدت شاحبة بعد رؤيتها الالوان ورائحة غرفتها الاسبانية الزكية.

سوف تفتقد هذا القصر العتيق. المذهل، وكذلك نزهاتها والسهول الذهبية ولكنها في انكلترا ستكون سيدة نفسها ثانية وليست الخطيبة المزعومة لرجل يضع كبرياءه ومركزه قبل اي شيء آخر. ابعدت رومي الغطاء الناعم الملمس عن جسدها وبدت وكأنها تسمع ثانية كلمات الدونا دولوريس منذ لحظات قبل خروجها من الغرفة.

- اريد فوق اي شيء ان يعرف كادو السعادة الحقيقية وليس

العاطفة التي تحلق ولا تترك ورائها غير المرارة.

خرجت رومي إلى الشرفة ووجدت القمر يرتفع عالياً ويكشف هذه الليلة الغموض، ان الدون ديلكادو ايضاً ابن ابيه، ونفس العواطف لابد انها تهيج دمه وترتجف في هاتين العينين البرونزيتين حتى تبدوان كعيني حيوان ثائر.

لم تعرف امه كيف هي نظرته إلى المرأة عندما تصل في بكائها إلى حد طلب الرحمة منه. ان رجل كالدون هو كما هذه الليلة الوثنية وقمرها، كما دروع الازتيك، اذا ما تزوج امرأة دون ان يحبها... امسكت رومي انفاسها ووضعت يدها على فمها شخصاً ما كان يعبر الفناء تحت السياج التي تقف عليه، ورائحة السيجار تملاء المكان، واشتمت ورمي رائحة سيجار الدون المألوفة.

كان يذرع المكان بخطواته الواسعة، وعندما ظهرت رومي من خلال الدوالي استطاعت ان تلتقط صورته الطويلة من خلال ضوء القمر. المخمل الاسود في معطفه السموكينغ كان كفرو النمر المرقط يناسب طريقة سيره في الفناء وكأنه في قفص يبحث عن الوسائل التي تمكنه من الهرب، واصبحت نبضات قلب رومي اكثر سرعة. ورغب الدون في الهروب كما هي رغبت، غاضب من القدر، رجل حصل على مكافأة مما جعله يصر على ان تتزوجه.

زواج مرتب... وعاطفة ثائرة.

وفجأة شعرت بنظرته تتركز على شرفتها وهربت ووصلت إلى غرفتها وتمنت ان لا تكون عيناه القاسيتين قد لمحتاها ويدعي انها كانت تتجسس عليه، ورات رأسه الاسمر يميل تحت ضوء القمر، وكان دخان سيجاره يرتفع نحو ضوء القمر الشاحب. هل احس بها هناك؟ وكان قلبها يدق بقوة وكأنه خارج جسدها، وبعد ذلك ذهب بعيداً، وبعد لحظات سمعته يتكلم إلى احدهم وكان هناك شريط حريري على ثوب فاتح وكذلك لمعان اقراط، ثم ضحكة

www.lewity.com/vb

لقد انضمت اليه كارمنشيتا في الفناء، وبدا كأنهم يقفون متقاربين لعدة لحظات... وبدا سوارها ذو الاجراس الذهبية الصغيرة يلمع بشدة بينما كانت يدها ترتفع وتطوق عنقه بذراعيها. امسكت رومي انفاسها ثم تراجعت إلى غرفتها قبل قبل ان ترى ذلك العناق وقد اكتمل.

وعرفت بأنه لا يوجد اي رجل يعمر الدون ومزاجه قادر على معاملة كارمنشيتا وكأنها قريبته، كانت الفتاة دافئة كما زهرة قرنفل بيضاء... كانت مثل الاغنية التي تحب ان تغنيها بمصاحبة موسيقى غيتار اخيها... المرأة هي الكأس والرجل هو الخمرة.

كانت مخلوقة كما تقول الدونا دولوريس... مخلوقة لرجل مثل الدون.

الفصل الحادي عشر

انتهت فترة مراقبة الدون، بعد ان كان مشغولاً في دراسة التقارير والرسائل، وكان هذا وقت راحة لرومي وهذا يعني ايضاً انها سوف ترى لويس الذي بدا موافقاً لمزاجها والذي كان مزيجاً من الفرح والعزم.

وبعد ذلك كان هناك مفاجأة... فقد اعلن لويس بأن الدون استلم برقية مطولة من السفارة في مكسيكو سيتي، وفي نفس الامسية طلب الدون من رومي لينضم اليها في مكتبه، لأنه يريد ان يتحدث اليها.

ـ انا... كنت سأستمع إلى بعض الموسيقى سنيور، قالت ذلك بأمل ان لا يصر عليها.

ولكن عينيه اصرت، تحذرها من انه سوف يمسك بها ويدللها امام نظر العائلة. ومع هزة كتف صغيرة ونظرة للويس تركت الصالة حيث كانت العائلة مجتمعة في المساء ومشت بجانب الدون إلى معبده، وكان كل عصب فيها يضرب، وحاولت ان تبدو رزينة قدر المستطاع عندما فتح باب مكتبه وادخلها إلى الغرفة حيث فرشت بسجادة من الجلد المصبوغ والسيوف والكؤوس وشذا الدخان الممتاز، والفقدان التام لاية لمسة نسائية.

واشار عليها لتجلس على احدى كراسي الجلد بقرب المكتب بدت وكأنها لا تتذكر التفاصيل الدقيقة لاخر مرة كانوا فيها وحدهم، امالت ذقنها وراقبت اقترابه منها، حيث كانت عينيه هازئتين ومتيقظة لنظرتها له.

- بمناسبة ماذا نحتسي الشراب.

امسك بواحدة من الكؤوس وبدا كأنه على وشك لمس اصابعها، ثم اتكأ على حافة المدفأة، نسر العائلة فوق رأسه مباشرة وفي مخالبه حمامة صغيرة ممزقة كما الزهرة الرقيقة.

- بمناسبة رحلة دون تصادم وجدال، دعينا نقول ذلك.

حدقت رومي فيه وقالت.

- رحلة سنيور. هل انت ذاهب بعيداً. ام انك ستدعني ارحل؟.

- ايهما تفضلين.

رشف قليلاً من كأسه وقال.

- تعالي لا توفري، احاسيسي.

- وهل لديك احاسيس؟.

سألته رومي وكانت كلماتها تحد اكثر منها ايمان، والذي لا يمكنه ان يؤلم قلبه او يؤذيه. تخيلت الجرح الذي يحمله والسحر والغموض الذي يكتنفه في حفلة المصارعة. سحره كان اخطر شيء يملكه وكان يشعل قلب كل امرأة تراقبه.

- انت تنظرين اليّ نظرة غريبة يا عزيزتي، سوف اخبرك عن رحلتنا.

- رحـ... رحلتنا.

قبض رعب مفاجيء على صوتها ماذا يعني بالضبط شهر عسل.

- انت تبدين على وشك الاغماء... ارجوك، اشربي كأسك قبل ان يكون عليّ ان احييك بقبلة الحياة.

- وهل تجرؤ.

ابتلعت نصف الكأس دفعة واحدة، وبعد ذلك نظرت اليه بعينين واسعتين وكان شكل وجهها يظهر كيفية انسدال شعرها، كما ان عينيها تحكمان وجهها كذلك الكرسي الجلدي تحكم صورتها الشابة.

- هل تشعرين بشجاعة كافية، لتسمعي تفاصيل الرحلة؟.

- كفاك تصرفاً وكأننا في مصارعة، ان ذلك ليس عدلاً.

- وانت كفاك نظر اليّ وكأنني احمل سوطاً.

- انا لست فتاة لاتينية، ولذا لا اعرف كيف اتملق رجلاً ما.

- لا.

- انت بالتأكيد لست فتاة لاتينية، اذ انك قد تسببين الكثير من الانتقاد في السفارة.

- ماذا تعني؟ اوه بحق السماء توقف عن اللعب هكذا واخبرني لماذا سحبتني بعيداً عن الموسيقى ولماذا تستمر في التحدث عن الرحلة، اية رحلة؟.

- الرحلة التي ستقومين بها مع لويس ومعي إلى مكسيكو سيتي.

قام الدون عن كرسيه والتقط رزمة من الورق.

- هناك كرنفال في هذا الوقت من السنة يقام في المدينة وكذلك حفلة رقص في عيد «اكوكب زحل». انا طلبت ان اعود إلى السفارة لاحضر الحفلة ولاقابل عدة رجال اعمال في العاصمة وانا اطلب ان اذهب مع خطيبتي.

لم تستطع رومي ان تبعد نظرها عنه ولتعطي نفسها الشجاعة لتنهي كأسها.

- انني افهم مما تقوله سنيور، انك تتوقع ان تبرز تفوقك، ولكي اراقبك وانت تختار الزوجة المناسبة لمركز ذو شأن؟ كيف ستشرح الامور عندما اعود إلى انكلترا. لانني انوي العودة ولن اقبل بأن الكون ضحية على مذبح طموحك.

وقفزت على قدميها بينما كانت تتكلم وركضت إلى الباب

www.rewity.com/vb

وبخطى واسعة وحل قبلها وسد الطريق بطوله وبعينيه الغريبتين.

- سوف تأتين إلى مكسيكو سيتي وسوف تتصرفين وكأنك خطيبتي، واذا ما حاولت الهروب فسوف اتبعك وبعدها سوف ترين كم يكون غضبي عالياً اذا ما استفزني احد ما.

- منذ التقينا وانت تقوم بالحيل.

قالت ذلك بغضب واضافت.

- هل هذا كل ما تستطيع ان تفعله، حتى مع كارمنشيتا.

- ولماذا تذكرين كارمنشيتا؟.

- لأنها الشخص الذي يجب ان تأخذه لمقابلة رجال الاعمال الاسبانيين، وهي الفتاة التي يجب ان تتزوجها.

- عندما يحين الوقت سوف اتزوج الفتاة التي اختارها ولكنني الآن مهتم بحفلة الكرنفال وسوف تحضرينها معي وارفض كلياً ان اقبل اعتراضك... هل تسمعينني.

سمعت رومي خفقات قلبها وكذلك صوت الغيتار خارج الصالة، ليس هناك موسيقى اكثر اثارة من الموسيقى اللاتينية، أسرها الدون بنظرته ولم تستطع ان تتحملها لذا ذهبت بعيداً عنه لتتفحص لوحة على الجدار.

- نحن نتحمل بعض الأعمال ونتمتع ببعضها الآخر.

جاء الدون ووقف وراء رومي، حيث جسده مشدوداً كما هذه السيوف المعلقة على الجدران.

- فكري في كل هذه المتاحف ولا تتذكري الحفلة، ولكن بالتأكيد يجب على كل امرأة ان تحضر ولو واحدة في حياته.

- تبدو دائماً وكأنك تصدر الأوامر لي... اذا ما ذهبت الى مكسيكو سيتي هل تعدني بشيء؟

يجب ان اعرف هذا الوعد قبل أن اتقيد به.

- لا... لا تجبرني على الزواج منك.

ظل صامتاً لحوالي نصف دقيقة وخلال ذلك الوقت ظلت رومي متيقظة لهيبته وراءها، ولتلك الذراعين واللتين قد تضمانها فجأة

في عناق يهزء من عجزها على الهروب منه.

- حسناً روميولا، اقسم انني لن أجبرك على أن تكوني زوجتي وسوف اسمح لعواطفكك لتختبر رغباتها وميولها، وأنا لن أكسر هذا القسم، أبداً.

- أنا لن أسامحك اذا ما خالفت وعدك سنيور.

- استديري يا عزيزتي وانظري الى عيني، انها تملك، كما تعرفين، الحقيقة كاملة.

استدارت ببطء وجعلت نظرها يراقب وجهه، جيداً مقطب الجبين وهو ينظر اليها من فوق وبعد ذلك ارخت يديها وقالت.

- لن يكون من الصواب سنيور لشخصين ان يتزوجوا بدون... حب.

- انني أوافق... وهل تعدينني انت بوعد ايضاً؟

- انني لا اتهرب من الواجبات.

أخذ اشارة من ابتسامتها التي لمست شفتيها.

- انا اطلب غرامة، فمنذ لقاءنا وأنا اتساءل عن مدى تأثير ثياب المصارعة على جلدك وشعرك، هل تلتزمين؟

وصل الى احدى بدلات المصارعة القصيرة المعلقة على الحائط وقال.

- لقد ارتديت هذا وأنا في السابعة عشرة. تعالي، جربيه.

- لنجعل مصارعتنا تبدو حقيقية أكثر.

امسك الدون بالمعطف وبعد تردد بسيط، ادخلت يديها في أكمامه واندهشت عندما وجدت ان السلاسل الذهبية والفضية فيه جعلته يبدو مثل الدرع مرصع ويلمع بمواجهة عينيها الخضراوين وشعرها الأشقر مما جعل عينا الدون تضيق ليدرس مدى تأثيره عليها.

- هل ابدو وكأنني شابة صغيرة سنيور؟

- وهل تتمنين لو كنت كذلك؟

- أحياناً معك... اجل.

www.rewity.com/vb

ابتسم بعينيه حتى بدت وكأنها وهج من نار.

- وربما عندها نكون اصدقاء، اليس كذلك وتبدين اكثر مراوغة وانت في هذا اللباس.

- اذا كنت لا تمانع فأنا اريد خلعه.

فعلت ذلك وناولته اياه، ارجعه إلى مكانه ضمن تذكاراته، ولاحظت رومي مزق في احدى جوانب احدى المعاطف وعندما ارسلت نظرة تساؤل إلى الدون رفع احد حاجبيه ولمس المزق.

- نعم، هذا عقابي على خطيئتي، سوف نذهب إلى المدينة في صباح الثلاثاء بواسطة الطائرة من اكذريكا.

- انت... انت ليس لك قلب.

ارتعشت ساقيها بينما كانت تمشي إلى مكتبه وتلمس آلة الاوراق المزخرفة ويد مقدسة تمسك جواهر من الياقوت الاصفر البربري والغريبة في نفس الوقت وقال.

- انا لدي واجبات معينة وانوي ان انجزها.

لم تجروء ان تنظر اليه وابقت نظرها على اليد التي تمسك بالاحجار اللامعة، كانت لهجة صوته جلية وكان ينظر اليها بجراة حيث رومي لا حول لها ولا قوة.

- انني سعيدة ان لويس ذاهب معنا.

- انت تحبينه، اليس كذلك؟.

- نعم، كثيراً.

- اكثر مما تحبينني، اليس كذلك؟.

- نعم، هل عندك من مانع.

- لو كنت امانع هل كنت اعطيك هذه، التقطي.

واخرج شيئاً ما من جيبه ورماه لها نظرت اليه وكأنه سيحرقها وسمعته يضحك بسخرية وخفوت.

- انها مجوهرات العروس ومصممة حسب تقاليد الانكاس.

كانت عليه تحتوي على سوار واسع من الذهب الخالص.

- اوه، انها جميلة جداً... سوف اقبلها.

ادخلت السوار في معصمها وشعرت بثقل ذهبه على عظام رسغها، وطردت من رأسها ثمن هذا السوار واستمتعت بجماله الوثني دون أن تسأل شيئاً.

- شكراً لك، سنيور.

- على الرحب والسعة سنيوريتا.

بدا وكأنه سيهزء من لهجة صوتها.

- هل بأستطاعتي الانضمام إلى الاخرين الآن.

وجعلها ثقل السوار تحس بأنها ضعيفة وصغيرة، ولقد كان السوار تذكار ساحر. اغلقت ستارة احدى النوافذ وقال.

- والآن انضمي اليهم في الصالة.

ونظر اليها نظرة تهكمية خافت منها، وهذه المرة كانت قادرة على مغادرة المكتب، وما زالت ساقيها تشعران بالارتجاج بينما كانت تخرج إلى الصالة حيث الشباب والفتيات يرقصون الفلامنغو بثقة في النفس، وبدت كارمنشيتا نارية وهي تدق كعب حذائها وتدور تنورتها، وشعرت رومي بغرابة الرجل الذي يلعب معه وكأنهم مجرد العاب لتسليته، وجدت لويس وسحبته إلى احدى الزوايا وسألته.

- هل ستأخذني إلى الجزيرة غداً، ان الدون غاضب... انه يضع مهنته فوق كل شيء... وكل شخص، ولن اكون جزءاً منها.

- يبدو ان الجزيرة تجذبك.

- نعم، اريد ان اراها، وربما هذه مزحتي الاخيرة.

- انت تريدين كادو ان يصدق...

نظر لويس إلى الراقصين وتعلقت رومي بجوابه، وكأن هناك صوتاً وثنياً يدعوها اليها، وهناك ستجد جواب لجميع مشاكلها.

نظر اليها لويس عندما دخل الدون ليشاهد الرقص، وكانا الاثنين معاً متيقظين لصورته الطويلة في ضوء المصابيح بينما مال لويس ناحيتها وقال بأنه سوف يأخذها إلى الجزيرة ولكنه لم يكن

www.rewity.com/vb

راضيا وشعرت رومي بنوع من القلق بينما لمست سوار انكا، الشمس، القمر والنجوم وجانب الوجوه التي بدت ذات كبرياء عنيف وسيطرة ظهرت على الدون ديلكادو بينما كان يتوقف ويتحدث مع والدته وفجأة اخذ يدها الرقيقة ومال برأسه ليقبلها. بينما لمست المرأة شعره الاسود مع ايماءة تدل على الحب الغير محدود، تذكر رومي بكلماتها في الليلة السابقة، ارادت لولدها الدون ان يجد السعادة مع زوجة يحبها فعلاً.

انسلت رومي بعيداً تسرع إلى غرفتها كأنها طفلة مشتاقة إلى بزوغ الصباح.

انبلج الصباح ذهبياً متلالىء، وبعد فنجان قهوة سريع وزبدة وخبز محمص لبست رومي بلوز قصيرة اسبانية الطراز وسروال ابيض وتركت البيت لتقابل لويس، ركضتْ من البيت وكأن شخصاً ما يلاحقها، ووصلت الى جانب البحيرة ولاحظت انها ما زالت تلبس سوار انكا. حدقت فيه وتساءلت عن السبب الذي جعلها تضعه هذا الصباح.

ثم رأت المركب الذي استأجره لويس من احد الصيادين وتوقف واعطاها يده لتمسك بها وتقفز الى ظهر المركب، كانت خفيفة في حذائها الرياضي، امسك لويس يدها وراح يتفحص السوار الذي بدأ يلمع لمعان غريب.

ـ لدينا سلة طعام وزجاجة نبيذ وكذلك هواء عليل ليحمل الشراع وليس هناك من اهتمامات اليس كذلك؟

ـ لا اهتمامات يا لويس.

ـ هل انت أكيدة ان هذا ما تريدينه.

كانت عيناه جديتان للحظة تتفحصان وجهها الفاتن.

ـ أنا أكيدة تماماً... اسمع لويس يبدو لي وكأنني اسمع اصوات الخداع عبر البحيرة.

ـ انت مليئة بالأوهام الرومنطيقية... حالمة ترفض ان تستفيق لتواجه الواقع.

ـ ما هو الواقع؟

بعثرت الشمس اشعتها على ضفاف البحيرة، ولمعت مثل الأحجار الكريمة المختلفة الألوان.

ارتجفت تحت ضوء الشمس، وقاد لويس المركب تجاه الحصى وقفز على الشاطىء وتبعته رومي ووقفت تنظر حولها باعجاب... عينان خضراوان مثل أوراق شجر النخيل التي انتشرت على الشاطىء.

بينما كان لويس مشغولاً باحضار السلة من على المركب والبساط لجلستهم، مشت رومي على الرمال الفضية وتسلقت الصخور التي تقود الى أفضل نقطة تطل على الجزيرة، وفي منتصف تسلقها نظرت الى لويس لتجعله يتبعها... وكان في الأسفل على الصخور السلة ولكنه كان قد عاد على متن المركب وقاده بعيداً عن الجزيرة.

ـ لويس.

تردد اسمه مع نسيم الجزيرة وقبض عليها خوف غريب.

ـ لويس.

زحفت على الصخور وركضت حتى حافة الشاطىء وهي تصرخ.

ـ ماذا تفعل... عد الى هنا.

أشار لها واستطاعت ان تلتقط طيف ابتسامة على شفتيه، وكان الشراع الأخضر مواجهاً بتخدٍ لزرقة السماء، كانت مندهشة ولاحظت انها أصبحت وحيدة على هذه الجزيرة جزيرة التضحية. كانت اشجار النخيل تميل بجزوعها من هواء الجزيرة فوق رأسها وضربت الرمال بقدميها.

ـ لويس... ايها الخائن.

ـ خبيث... خبيث!

قال ذلك صوت رجل وراءها.

استدارت وكان هناك شجرة نخيل طويلة وذات صورة جميلة،

عارية كالهنود، شعر اسود يلمع تحت الماء وقميص حريري مفتوح حتى الوسط تحت قميص ضيق.

لم تستطع رومي ان تصدق عينيها.

- دون ديلكادو!.

- الا احد غيره.

مشى باتجاهها، جذاب بلا حياء، وقاسي كالنمر الاسود واللهيب في عينيه مما جعل رومي ترجع خطوة إلى الوراء بعيداً عنه.

- انتما... انتما الاثنين خططتم لذلك، لقد كانت مؤامرة بينك... اوه، كان يجب عليّ ان آخذ حذري، لويس صديق عزيز عليك ليفعل شيئاً معاكساً... كيف وصلت إلى هنا.

- لقد سبحت وثيابي حول عنقي كما يفعل الرجل الهندي.

- كل هذه المسافة!.

شعرت بقلبها يضرب بقوة تحت شريط بلوزتها القصيرة، بينما كانت عيناه تتفحصانها بجرأة ووقاحة.

- الم اخبرك انك اذا ما هربت مني فسوف اتبعك؟.

- ولكن لماذا؟.

ابتسم ببطء وقال.

- لا يوجد شخص في المزرعة لا يعرف لماذا، انت الوحيدة التي يبدو انها جاهلة لماذا؟.

رق صوته بخطر وقال.

- لماذا تضعين سواري بينما خططت لكي تظهري وكأن رجل آخر اغواك.

- انها قطعة جميلة من الجواهر والتي تبدو وكأنها تتناسب مع حاجياتي.

- انها تناسب... حاجياتك؟.

وقبل ان تدرك ذلك كان قريباً منها، ونظرت إلى شفاهه القاسية، الدافئة التي تقوست في ابتسامة، وشعرت بتنفسها

يتقطع... ارادت ان تهرب منه، ولكن اين يمكنها في هذه الجزيرة من الحصى والرمال ان تهرب منه؟ جعلها تشعر بخجلها وعدم ثقتها بنفسها، وبينما ابعدت نظرها عنه، رأت من فتحة قميصه جرحه البارز في جانبه الايمن، شعور من الغثيان بدأ يزحف عليها، وبعدها كانت بين ذراعي الدون يمسكها بعاطفة جامحة وقريبة من جلده الذهبي والعقد المعلق على صدره.

لمسته، اثارت جسدها وشعره الاسود المشعث اتحدوا لانتزاع استجابتها. ولم يعد لديها سوى القليل من المقاومة، ارادت ان تلتصق به، ان تعطي الحب للعاطفة، اذا كان هذا كل ما يريده...

- لا... انت تراوغ معي ليل نهار، تجعلني لك كليا بحيث لا يصبح لدي اية حرية.

- لي...

وافقها الدون وبدأت شفاهه تحرق حنجرتها واضاف مهمهماً.

- آه... انت ملكي.

- اوه... كم انت مغرور!.

- ضحي بنفسك من اجلي وليس من اجل المتحف.

- سيدة... سيدة السفير.

- السيدة ذات الشعر الاشقر والعينان الخضراوان.

- كادو... انا لن استطيع ان اتحمل اذلال اكثر من هذا.

- اذاً من اجلك سأرفض ان اكون سفيراً.

- لاجلي!.

سحبت نفسها بعيداً وبحثت في عينيه فرأته يدفن رأسها في صدره وقالت.

- انا لن ادعك تفعل ذلك، لقد ناضلت من اجل المنصب وانت تستحقه.

- هل هذا صحيح يا حبيبتي الحلوة.

قال الكلمات بشكل غنائي قريب من اذنيها.

www.rewity.com/vb

احساسها به قريبا منها، جعلها تكتشف شيئاً رائعاً، لقد عمل بكد من اجل شعبه وكان كريما على قدر عاطفته الجياشة، لاحظ الكل ذلك، آه كم كانت عمياء لتعرف انه كان يبحث عن الحب، وحزنه على فتاة انكليزية متمردة والتي استمرت في القول انها تريد ان تغلق على نفسها في متحف حيث الاشياء ميتة.

- كادو، لقد استمريت في مناداتي طفلة...

ابتسمت له بكل حب واضافت.

- لقد عنيت انني كنت محدودة التفكير لأثق واعجب بمشاعرك النبيلة، انا... انا لم اعد اشعر بهكذا تفكير منذ مدة، انا اشعر...

اكمل عنها واضاف.

- بشعور خاص... لحبيبي اللاتيني المتقيد بتقاليده.

أمال بيديه رأسها، وأسرت عينيه قلبها بتعبير الحب الذي احترق بهم وقال لها الدون.

- الم تتساءلي لماذا سافرت إلى ارضي على متن قطار عندما كان بأستطاعتي ان استقل الطائرة، آه... لا، انت بريئة جداً وخجولة، لقد رشوت الكاتب في الفندق الذي نزلت فيه ليخبرني إلى اين انت ذاهبة ومتى. لقد خططت لكي اكون على متن ذلك القطار... والقدر تكفل بتكملة الباقي.

- لقد عرفت دائماً انك شيطان.

قالت ذلك بهمس وهي تضحك فقال لها.

- وهل تمانعين يا حبيبتي.

كانت عيناه تضحكان منها وكذلك تحبانها، اذا ما طلب فانها سوف تعطيه روحها، كانت تفكر بذلك بينما كانت شفاهها تلتقيان بخطر واثارة شفتيه وقالت له.

- هنالك شيء واحد اريد ان اعرفه يا ديلكادو... ماذا كانت تفعل كارمنشيتا بين ذراعيك الليلة الماضية؟.

- تعترف لي انها معجبة بك... واذا ما كنت سأتزوج غيرها،